حمم الغضب

حمم الغضب

تدور أحداث القصة :

الخطر يتواصل، مع (رجل المستحيل)، فى أدغال البرازيل، ومواجهته تستمر، مع منظمة (هيل آرت) للجاسوسية، تابع معنا أحداث الفصل الأخير وحمم الغضب

1- بأى ثمن

"أنت هنا؟!"

هتف (قدرى) خبير التزييف و التزوير فى المخابرات العامة المصرية العبارة بكل دهشة الدنيا و هو يدلف إلى مكتبه فى الصباح الباكر فابتسمت (منى) ابتسامة باهتة و هى تقول :

- إننى هنا منذ السابعة صباحاً.
تألقت ضحكة فى عينى (قدرى) الضيقتين و هو يغمغم :
- آه كان يجب أن أتوقع هذا.
و خلع سترته ليعلقها على مشجب كبير مجاور للباب مع استطراد ته الخبيثة :
- أراهن أن الفضول لم يمنحك لحظة واحدة من النوم طيلة ليلة أمس.
حاولت أن تبتسم إلا أنها عجزت عن هذا وهى تقول فى شيء من التوتر :
- أين وضعت ملف عملية (أدهم)؟! لقد بحثت عنه طويلاً دون أن أعثر عليه!!
أشار (قدرى) بسبابته قائلاً :
- إنه ملف سرى للغاية.
كررت فى توتر أكثر :
- أين وضعته؟!
ابتسم فى مرح و هو يتجه نحو مكتبه قائلاً :
- إنه أحد أهم الدروس التى تعلمتها من صديقنا (أدهم)، فالإنسان عندما يبحث عن أمر هام لا يتصور أبداً أن يجده فى أكثر الأماكن وضوحاً.
قالها وأزاح بعض الأوراق المبعثرة بإهمال على سطح مكتبه و التقط من بينها ملف عملية (هيل آرت) و رفعه أمامه فابتسمت (منى) قائلة :
- يا لك من مخادع !
لم تكن قد أكملت عبارتها بعد عندما اختطفت الملف من يده بكل اللهفة فأطلق هو ضحكة كبرى قبل أن يقول :
- إنها مهنتى.
جلست على مقعد قريب و هى تتصفح الملف متسائلة :
- أين توقفنا أمس؟!
أجابها (قدرى) و هو يفتح حقيبته و يخرج منها لفافة من الشطائر فى نهم واضح :
- لقد توقفنا عند سقوط (أدهم) مصاباً بشلل مؤقت فى حجرة مكتب سير (ونيسلوت) الخاصة و....[1]
قاطعته فى صرامة :
- أعلم جيداً الأحداث التى توقفنا عندها كنت أسألك عن رقم الصفحة.
هز كتفيه المكتظين قائلاً :
- ستجدين واحدة من بطاقاتى الشخصية عندها.
توصلت إلى الصفحة بسرعة و قالت فى لهفة لم تحاول إخفاءها :
- سأقرأ أنا هذه المرة.
التقط شطيرة كبيرة و قطم منها قطعة ضخمة و هو يقول :
- هذا أفضل.
و التقطت هى نفساً عميقاً فى محاولة للسيطرة على فضولها و انفعالها ثم راحت تقرأ

---

[1] للتفاصيل راجع الجزء الأول (الجحيم) المغامرة رقم (1) من سلسلة (رجل المستحيل) للإنترنت

* * *

راجع مدير المخابرات المصرية فى اهتمام ذلك التقرير الذى قدمه له نائبه قبل أن يرفع عينيه إليه قائلاً فى قلق :
- إذن فلا توجد أية أخبار جديدة من الرائد (أدهم).
أومأ النائب برأسه قائلاً :
- الأدهى يا سيادة المدير أن مراقبينا قد رصدوا حالة من الهدوء الشديد تحيط بقصر سير (وينسلوت) بعد أن انتهت حالة الطوارئ القصوى فيه فجأة و رجال (دافيد جراهام) ما زالوا يحيطون به فى حين اختفى (جراهام) نفسه داخل القصر منذ أكثر من ساعة كاملة.
تراجع مدير المخابرات فى مقعده و هو يقول :
- و ما الذى يمكن أن يعنيه هذا؟!
أجابه نائبه فى توتر :
- أخشى مجرد التفكير فى الأمر يا سيدى.
انعقد حاجبا المدير بشدة و شعر بموجة من التوتر الشديد تسرى فى عروقه فنهض من مقعده و اتجه إلى نافذة حجرة مكتبه و تطلع عبرها فى صمت بضع لحظات قبل أن يلتفت إلى نائبه قائلاً فى حزم :
- اطلب من مراقبينا مواصلة مراقبة قصر (وينسلوت) و إبلاغنا بأية تطورات جديدة و حاول فى الوقت ذاته الاتصال بالرائد (أدهم) عبر كل وسائلنا المباشرة و غير المباشرة أيضاً أريد معرفة ما يحدث هناك.
و صمت لحظة قبل أن يضيف بمنتهى الحزم و الصرامة :
- و بأى ثمن.
فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته كان (جراهام)يبتسم فى ارتياح ظافر و هو يتطلع إلى جسد (أدهم) الفاقد الوعى فى مكتب (وينسلوت) قائلاً :
- عظيم يا سير (وينسلوت) ما حدث هنا الليلة يثبت أنك بالفعل حليف قوى لدولة (إسرائيل).
اعتدل (وينسلوت) و أشعل سيجاره الكوبى الفاخر بذلك البرود البريطانى الموروث و هو يقول :
- كيف عرفت؟!
رفع (جراهام) عينيه إليه قائلاً بابتسامته الخبيثة :
- الأمر يبدو واضحاً يا سير (وينسلوت) فها هو ذا خصمك تحت قدميك و....
قاطعه سير (وينسلوت) و هو يكرر فى صرامة :
- كيف عرفت ما يحدث هنا يا (جراهام)؟!
انتبه الإسرائيلى المخضرم إلى هفوته فى تلك اللحظة فقط و لكنه حافظ على تماسكه و ابتسم وهو يقول :
- الأمر ليس عسيراً يا سير (وينسلوت) فقد بلغنى أن شخصاً انتحل....
قاطعه سير (وينسلوت) فى صرامة أكثر و هو ينفث دخان سيجاره فى قوة :

- كيف عرفت؟!
كان من الواضح أن اللعب يتم الآن بأوراق مكشوفة لذا فقد اعتدل رجل (الموساد) الإسرائيلى و قال فى حسم :
- وسائل الأمن التى وضعتها هنا هى التى أبلغتنى بما يحدث فى قصرك.
رمقه سير (وينسلوت) بنظرة صارمة و هو يقول :
- تقصد أجهزة التنصت.
انعقد حاجبا رئيس الحرس (بيتون) و تحفزت يده الممسكة بمسدسه و هو ينقل بصره فى توتر بين زعيمه سير (وينسلوت) و رجل (الموساد) (جراهام) الذى أجاب فى حسم شديد :
- بالضبط.
و هنا انعقد حاجبا سير (وينسلوت) فى غضب و هو يقول :
- كيف تجرؤ.....
قاطعه (دافيد جراهام) فى سرعة :
- إننى أحمى مصالح دولتى يا سير (وينسلوت).
قال (وينسلوت) فى غضب :
- و ماذا عن مصالحى أنا؟!
أجابه (جراهام) فى جرأة :
- مصالحك تدخل ضمن مصالح دولتى يا سير (وينسلوت) و وجود تلك الأجهزة هنا هو الذى نبهنا إلى ما تواجهه من خطر و هو ما دفعنا إلى التحرك بمنتهى السرعة , لإنقاذك و تأمينك.
قال (وينسلوت)فى صرامة :
- و لكنكم وصلتم بعد أن انتهى الأمر.
ابتسم (جراهام) و قال فى خبث :
- ربما لم ندرك أنك تجيد التصرف بكل هذه المهارة يا سير (وينسلوت).
شد (وينسلوت) قامته قائلاً :
- و ماذا بعد أن أدركتم؟!
أشار (جراهام) بيده قائلاً فى خبث :
- ستتغير أمور كثيرة حتماً يا سير (وينسلوت).
رمقه (وينسلوت) بنظرة قاسية و هو يقول فى صرامة و ينفث دخان سيجاره فى الوقت ذاته :
- هذا أمر مؤكد يا سيد (جراهام) .
ثم استدار إلى (بيتون) قائلاً بلهجة آمرة :
- أرسل طاقماً من القسم الفنى لفحص كل شبر من حجرة مكتبى و إزالة أدوات التنصت منه.
قال (جراهام) محاولاً إثبات حسن نيته :
- لا داع لكل هذا يا سير (وينسلوت) يمكننى أن أدلهم على كل جهاز....
قاطعه سير (وينسلوت) فى صرامة :

- هل تعرف طريقك إلى الخارج أم تحتاج إلى من يرشدك يا سيد (جراهام)؟
شعر (جراهام) بتوتر شديد يسرى فى كيانه و ألقى نظرة عصبية على جسد (أدهم) الفاقد الوعى قبل أن يحاول الابتسام قائلاً :
- لا ينبغى للأخطاء البسيطة أن ....
قاطعه سير (وينسلوت) مرة أخرى بمنتهى الصرامة :
- وداعاً يا سيد (جراهام).
احتقن وجه (جراهام) بشدة و بذل جهداً خرافياً ليتماسك و هو يقول :
- أهذا وداع شخصى أم أنه يشير إلى التعاون بين منظمتك و دولتى أيضاً.
شد سير (وينسلوت) قامته مرة أخرى قائلاً بمنتهى الصرامة :
- لم يحن الوقت لحسم هذا القرار بعد.
احتقن وجه (جراهام) أكثر فى حين اتجه (بيتون) نحوه فى صرامة و قال فى خشونة شرسة و هو يمسك مقبض مسدسه الذى ما زال يستقر فى غمده :
- بعدك يا سيد (جراهام) .
كظم (جراهام) غيظه فى صعوبة و انحنى نصف انحناءة أمام سير (وينسلوت) و هو يقول :
- أتعشم أن نلتقى مرة أخرى يا سير (وينسلوت).
أجابه (وينسلوت) و هو يشيح بوجهه فى ازدراء :
- ربما.
وظل مشيحاً برأسه و أذناه تتابعان وقع أقدام (بيتون) و (جراهام) و هما يغادران المكان حتى سمع صوت الباب يغلق من خلفيهما فالتقط نفساً عميقاً من سيجاره الفاخر و نفثه بكل قوته فى هواء الحجرة قبل أن يخفض عينيه إلى جسد (أدهم) مغمغماً :
- أما بالنسبة لك فلدى خطة لم تخطر ببالك حتماً.
و اتسعت ابتسامته
و حملت الكثير من الظفر
و الزهو
و الوحشية
بلا حدود

* * *

ألقى الملحق العسكرى المصرى نظرة متوترة على ساعته قبل أن يرفع عينيه إلى السفير قائلاً :
- إلغاء الاحتفال أثار دهشة و تساؤل الجميع و على رأسهم الدكتور (أحمد) شقيق الرائد (أدهم) نفسه.
هز السفير رأسه قائلاً :
- لم يكن أمامنا سوى هذا بعد أن أشعل (أدهم) النيران فى (لندن) كلها .
بدا صوت الملحق العسكرى حازماً و هو يقول :

- لم يكن الرائد (أدهم) هو المسئول عن هذا يا سيدى السفير .
رفع السفير كفه قائلاً :
- لا فارق لقد اشتعلت النيران و كان ما كان و نحن ننتظر الآن وصول طائرة طبية من (القاهرة) لنقل الرائد (حازم) على متنها إلى الوطن قبل أن يكشف رجال تلك المنظمة الرهيبة موقعه و يسعون للظفر به.
صمت الملحق العسكرى قبل أن يقول :
- هذا هو نفس ما أدركه (أدهم) يا سيادة السفير.
التفت إليه السفير بنظرة تساؤل , فتابع موضحاً :
- إن القتال مع تلك المنظمة مهما بلغت قوته أو بلغ عنفه لن يحسم الأمر قط .
و التقط نفساً عميقاً قبل أن يضيف :
- لابد من القضاء على رأس الأفعى مباشرة.
تطلع إليه السفير بنظرة متوترة و هم بقول شيء ما إلا أن أحد رجال أمن السفارة دلف إلى المكان فجأة و هو يقول فى توتر ملحوظ :
- معذرة يا سيادة السفير و لكن الأمر عاجل جداً.
بدت دهشة متوترة على ملامح السفير قبل أن يندفع رجل الأمن نحو الملحق العسكرى و يناوله ورقة مطوية مضيفاً :
- إنه آخر تقارير مراقبينا.
فض الملحق العسكرى الورقة فى سرعة و التهم محتوياتها فى لحظة واحدة قبل أن يقول فى توتر :
- سير (وينسلوت) انطلق بسيارته المصفحة إلى مطار خاص حيث تقف طائرته مستعدة للإقلاع إلى جهة لم يفصح قائدها عنها بناء على أوامر عضو مجلس العموم البريطانى.
بدت الحيرة على وجه السفير و هو يغمغم :
- و ما الذى يمكن أن يعنيه هذا؟!
انعقد حاجبا الملحق العسكرى فى توتر بالغ قبل أن يقول فى صرامة و اقتضاب :
- الكثير.
قالها و اندفع خارج المكتب دون أن يضيف حرفاً واحداً فهتف السفير من خلفه بكل توتر الدنيا :
- ما الذى يحدث هنا؟!
و لكنه لم يحصل على جواب
أى جواب

* * *

لم تكد سيارة سير (وينسلوت) المصفحة تبلغ ذلك المطار الخاص حتى هبط منها هذا الأخير مع قائد حرسه (بيتون) و أشار إلى الرجلين المصاحبين له قائلاً فى صرامة باردة :
- أسرعا .

و دون إضاعة لحظة واحدة أخرج الرجلان جسد (ادهم) الفاقد الوعى و المقيد بإحكام من حقيبة السيارة و أسرعا به نحو مخزن الطائرة حيث قيداه إلى عمود من الصلب بأغلال فولاذية قوية قبل أن يسرع أحدهما إلى سير (وينسلوت) قائلاً :
- تم تنفيذ الأوامر يا سيدى.
مط (وينسلوت) شفتيه و هز رأسه مغمغماً و هو يصعد مع (بيتون) فى سلم الطائرة :
- عظيم .
فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته كان الملحق العسكرى للسفارة المصرية يقود سيارته فى توتر بالغ نحو ذلك المطار الخاص و رجل الأمن الجالس إلى جواره يتساءل :
- ما الذى تتوقعه بالضبط يا سيدى؟!
أجابه الملحق العسكرى بكل توتر الدنيا :
- أتوقع أن يكون الرائد (أدهم) داخل سيارة (وينسلوت) المصفحة .
ازدرد رجل الأمن لعابه فى توتر و غمغم فى حذر :
- حياً؟!
انعقد حاجبا الملحق العسكرى فى شدة و لاذ بالصمت و إن ظل ذهنه يطرح على كل ذرة من كيانه التساؤل نفسه..
ترى أما زال (أدهم) على قيد الحياة أم...
لم يستطع حتى إكمال تساؤله,و هو يزيد من سرعة سيارته أكثر..
و أكثر..
و أكثر..
و من بعيد و خارج حدود العاصمة البريطانية لاح له ذلك المطار الخاص فهتف بكل انفعاله :
- هاهو ذا .
و صمت لحظة ثم استعاد توتره مضيفاً :
- عسى أن نصل قبل فوات الأوان.
كان يقترب من المطار بأقصى سرعة تسمح بها السيارة..
و يقترب...
و يقترب...
ثم فجأة ضغط فرامل سيارته فى قوة و هو يهتف فى حدة :
- كلا .
و لم ينبس رجل الأمن المصاحب له ببنت شفة أو يعقب على قوله بحرف واحد ، إذ رأى مثله طائرة (وينسلوت) و هى تحلق عالياً منطلقة نحو جهة مجهولة
جهة لم تفصح عنها السجلات الرسمية..
قط ..

* * *

2-الأسير

لم يدر (أدهم) أبداً كم ظل فاقد الوعى بتأثير ذلك العقار البدائى العجيب إلا أنه فجأة استعاد وعيه
استعاده ليجد نفسه مقيداً على نحو مزدوج عجيب
فقد كان معصماه مقيدان خلف ظهره فى إحكام و قدماه مربوطتان بحبل قوى غليظ ، فى نفس الوقت الذى أحيط فيه جسده بأغلال فولاذية قوية تربطه إلى عمود من الصلب داخل ما بدا له أشبه بقبو معدنى صغير
و لدقيقة كاملة تقريباً لم يمكنه أن يستوعب الموقف كله على نحو واضح
ثم راحت حواسه تصفوا ...
و تنتبه ...
و تستوعب ...
و عندئذ فقط أدرك طبيعة ذلك المكان
أدرك أنه مخزن صغير لطائرة محدودة لا يمكن أن تزيد مقاعدها عن أثنى عشر مقعداً على أقصى تقدير
و هى تحلق على ارتفاع كبير على الأرجح
و بسرعة استعاد ذهنه كل ما حدث منذ وصل إلى (لندن)
استعاد تفاصيل ذلك الفخ الذى أعدته منظمة (هيل آرت) لزميله (حازم) و إصابته..

و صراعه هو مع المنظمة و زعيمها سير (وينسلوت)
ثم سقوطه..
و مع استعادته لذكرى السقوط بدأ ذهنه يصفو أكثر ..
و يستوعب أكثر و أكثر...
فعضو مجلس العموم البريطانى و زعيم منظمة التجسس الإجرامية كان يشير إلى عقار أحضره من غابات (البرازيل)
و ذهنه يذكر تقرير قرأه قبل رحيله إلى (لندن) يشير إلى أنشطة غامضة مجهولة سجلها بعض المراقبين فى أدغال (البرازيل) و لم يكن من العسير أن يربط ذهنه بين هذا و ذاك ..
و لأنه يمتلك حاسة نادرة لتحديد الاتجاهات أدرك أن الطائرة تنطلق نحو الغرب
إنهم ينقلونه إلى مكان ما فى الغرب ..
و لكن هذا لم يكن يقلقه فى تلك اللحظة بالذات ..
ففى كل الأحوال و أياً كان اتجاهه أو كانت هوية مختطفيه فما ينبغى أن يركز كل ذهنه فيه هو قيوده المزدوجة..
الأحبال السميكة و الأغلال الفولاذية..
كانت قيوده قوية و محكمة حتى أنها لا تمنحه الفرصة لأية مناورات أو محاولات للتخلص منها
ثم أن ربطها بعمود الصلب كان يمنعه من التقاط أية أدوات مساعدة من أى شيء حوله
و لو أن أى شخص فى موضعه لما وجد أمامه سوى الاستسلام للموقف الذى تؤكد كل لمحة منه أن الخلاص مستحيل ...
مستحيل تماماً ...
و لكن (أدهم صبرى) لم يكن أى شخص عادى
لقد كان رجلا من طراز خاص جداً
طراز يتحدى المستحيل
كل المستحيل!
و بسرعة درس (أدهم) الموقف و تفحص ببطره قمة عمود الصلب الذى تم تقييده إليه
و تحسس بأصابعه قاعدته المثبتة بمسامير قوية فى جسم الطائرة
"براعة العميان يا (أدهم) أريدك أن تكتسب براعة العميان اجعل حواسك بديلا لعينيك تحرك فى الظلام بخفة قط و مرونة فهد هذا وحده يمنحك التفوق على خصومك"
استعاد ذهنه كلمات والده الراحل و هو يتحسس قاعدة عمود الصلب و ذهنه يخزن كل ما يكتسبه من معلومات
كان من الواضح أنه عمود غير أساسى تمت إضافته إلى مخزن الطائرة لمواكبة موقفه هذا إذ كانت نقاط تماس قاعدته مع جسم الطائرة جديدة لم تتلوث بترسبات الغبار أو غيرها
أما ما يثبتها إلى جسم الطائرة فكان ثلاثة مسامير حلزونية كبيرة ذات رؤوس صليبية متسعة

ما يحتاجه إذن هو مفك قوى أو قطعة معدنية ثقيلة ذات طرف حاد و من المؤكد أنهم لن يضعوا فى متناول يده أى شيء يشبهه هذا من قريب أو بعيد
و بأى حال من الأحوال...
"متى سيستعيد وعيه فى رأيك يا سيدى؟!"
طرح (بيتون) السؤال فى لهفة فتراجع سير (وينسلوت) فى مقعده بهدوء و داعب طرف سيجاره غير المشتعل قبل أن يجيب :
- ربما يكون قد استعاده بالفعل و لكن قيوده القوية المحكمة ستمنعه من اتخاذ أى موقف إيجابى حتى نصل إلى الموقع (صفر).
شعر (بيتون) بالتوتر يسرى فى عروقه لمجرد فكرة أن يستعيد (أدهم) وعيه فى مخزن الطائرة الصغيرة و حاول أن يستقر فى مقعده مع كل ما يشعر به من انفعال إلا أنه عجز عن هذا فتسائل فى عصبية لم يستطع كتمانها :
- كم تبقى أمامنا حتى نصل إلى الموقع (صفر)؟!
أجابه قائد الطائرة فى سرعة :
- لقد تجاوزنا المحيط بالفعل و نحن ننطلق الآن على ارتفاع منخفض فوق الأراضى البرازيلية و سنصل بعد سبع و عشرين دقيقة تقريباً إلى مطارنا الخاص هناك .
مط (بيتون) شفتيه دون أن يجيب فى حين قال (وينسلوت) فى صرامة آمرة كعادته :
- عظيم مر الرجال هناك بإعداد المروحية التى ستحملنا من المطار الخاص إلى الموقع (صفر).
غمغم الطيار و هو يبدأ الاتصال بالفعل :
- فليكن .
استرخى (وينسلوت) فى مقعده و تشاغل بالتطلع عبر نافذة الطائرة فى حين بذل (بيتون) جهداً مضاعفاً فى محاولة للتماسك إلا أن هاجس تحرر (أدهم) من قيوده ظل يطارده فراح يستدير كل لحظة و أخرى ليلقى نظرة على باب المخزن أسفل مؤخرة الطائرة متوقعاً أن يقفز منه (أدهم) فجأة و يهاجمهما و.....
"استرخ فى مقعدك"
نطق سير (وينسلوت) العبارة فى حزم فالتفت إليه (بيتون) فى عصبية فتابع بنفس الحزم :
- رجال الأمن لا يتوترون إلى هذا الحد .
حاول (بيتون) أن يتجاوز الموقف و أن يطيع أوامر زعيمه بالفعل إلا أنه عجز تماماً عن هذا فقال فى توتر :
- و رجال الأمن لا يبقون على حياة خصم عنيف مثله دون أى سبب منطقى .
ارتسمت على شفتى (وينسلوت) ابتسامة ساخرة و هو يقول :
- و لهذا يبقون دوماً فى مرتبة رجال الأمن .
تراجع (بيتون) فى مقعده و هو يقول فى توتر :
- ما الذى يعنيه هذا؟!
أجابه (وينسلوت) فى سرعة و هدوء :
- و ربما لا يعنى شيئاً .

و صمت لحظة قبل أن يضيف فى خبث :
- و ربما يعنى كل شيء .
لم يفهم (بيتون) هذا الموقف المزدوج و لم يستوعب عقله المحدود مغزاه فقال فى عصبية :
- إننا نعرض أنفسنا للخطر دون مبرر .
هتف سير (وينسلوت) مستنكراً :
- الخطر ممن؟! من رجل تحت سيطرتنا بصورة كاملة؟!
ثم ابتسم فى سخرية مستطرداً :
- أخشى أنك تبالغ كثيراً فى مخاوفك يا عزيزى (بيتون) .
قال (بيتون) بنفس العصبية :
- بل أنا الذى أخشى أن تبالغ كثيراً فى ثقتك أيها الزعيم .
هز (وينسلوت) كتفيه فى لا مبالاة و هو يقول :
- من يدرى.. ربما .
وعاد يسترخى فى مقعده مضيفاً بابتسامة غامضة لم ترق أبداً لقائد حرسه الضخم :
- الساعات القادمة ستحسم هذا حتماً .
لم يعلق (بيتون) على عبارته أو ينطق بحرف واحد إلا أنه ظل يتطلع إلى باب مخزن الطائرة بنفس التوتر السابق فى حين كانت الطائرة تقترب بالفعل من المطار البرازيلى الخاص
و تقترب
و تقترب
حتى هبطت فيه أخيراً مع منتصف الليل بتوقيت (البرازيل)
و فور هبوط الطائرة أحاط بها فريق من الرجال الأشداء المسلحين بمدافع آلية قوية وفقاً لأوامر سير (وينسلوت)
و هنا فقط تنفس (بيتون) الصعداء و غمغم :
- أخيراً !
ابتسم سير (وينسلوت) فى سخرية و أشعل سيجاره الفاخر و هو يقول ببروده المستفز :
- أنت على حق أخيراً سأشعل سيجارى بعد ساعات من الطيران المتواصل .
ألقى (بيتون) نظرة أخيرة على باب مخزن الطائرة قبل أن يقول :
- أنت على حق أيها الزعيم لا يوجد ما يفوق دخان سيجار فاخر فى طقس كهذا و....
قبل أن يتم عبارته انفتح باب مخزن الطائرة فجأة و وثب عبره (أدهم) وثبة رشيقة مدهشة انطلقت معها شهقة قوية من حلق (بيتون) و يده تثب نحو مسدسه المعلق بحزامه
و فى نفس اللحظة التى انعقد فيها حاجبا (وينسلوت) بكل توتر الدنيا على الرغم من بروده الإنجليزى الأسطورى وثب (أدهم) نحو (بيتون) وثبة مدهشة و كال له لكمة كالقنبلة و هو يقول ساخراً :
- خطأ أيها الوغد التدخين كان و سيظل خطراً داهماً .

و قبل حتى أن يسقط (بيتون) سحب (أدهم) مسدسه من حزامه و أدار فوهته بسرعة البرق نحو (وينسلوت) الذى تطلع إلى الفوهة القاتلة مباشرة و هو ينفث دخان سيجاره الفاخر قائلاً :
- مدهش .
نطقها بهدوء عجيب قبل أن يتساءل فى اهتمام لا يحمل أية لمحة من الخوف :
- كيف تخلصت من قيودك؟!
هز (أدهم) كتفيه قائلاً :
- أعترف أنكم قد قيدتمونى بإحكام شديد و لكن هناك قاعدة لم يثبت خطأها أبداً .
سأله سير (وينسلوت) فى شغف :
- أية قاعدة؟!
ابتسم (ادهم) مجيباً :
- لكل مشكلة حل .
بدت العبارة شديدة البساطة لسير (وينسلوت) على نحو خاب معه أمله فتمتم :
- هكذا؟!
ابتسم (أدهم) فى سخرية قائلاً :
- نعم هكذا و بكل بساطة فقد استخدمت الزاوية الحادة للأغلال المعدنية لحل المسامير التى تثبت قاعدة عمود الصلب فى جسم الطائرة و عندما انتزعت القاعدة أمكننى تحريك العمود نفسه بما يكفى لإخراج أغلالى منه و بعدها استعنت بكل ما اكتسبته من مرونة فى حياتى لدفع جسدى عبر ذراعى بحيث أصبح معصمى مقيدان أمام صدرى و ليس خلف ظهرى .
بدا سير (وينسلوت) شديد الشغف و هو يستمع إليه متمتماً :
- مدهش .. إذن فقد فعلت هذا حقاً! وتتحدث عنه كما لو كان أمراً عادياً .
تابع (أدهم) دون أن يتوقف عند تعليقه :
- بهذا الوضع أمكننى حل قيود قدمى و بعدها بحثت بين أمتعتك عن قطعة صلبة من السلك استخدمتها لفك قفل الأغلال المعدنية عن معصمى .
- إذن فقد فعلت هذا! مدهش ..مدهش بحق .
ثم نفث دخان سيجاره الفخم فى هدوء شديد قبل أن يضيف :
- الواقع أنك تبهرنى فى كل مرة بقدراتك المدهشة أيها المصرى .
تحرك قائد الطائرة فى خفة مستغلاً انشغال (أدهم) و (وينسلوت) بالحديث , ليسحب المسدس الأحتياطى المخفى تحت مقعده و لكن (ادهم) أدار فوهة مسدسه نحوه قائلاً فى صرامة :
- يبدو أنك لا تدرك أن الموت لن يجد فارقاً بين رجل أعزل و آخر يحمل سلاحاً .
انتفض جسد الطيار من فرط المفاجأة و اعتدل رافعاً يديه على نحو جذب اهتمام المسلحين حول الطائرة و الذين كانوا يتساءلون بالفعل عن سبب تأخر زعيمهم فى الهبوط

و مع مرآى الطيار و هو يرفع يديه فى كابينته أدرك المحترفون ما يحدث و بدءوا يتحركون بالفعل فى سرعة و خفة و مهارة لتنفيذ خطة طوارئ قصوى تدربوا عليها طويلاً
أما سير (وينسلوت) فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة و هو يعقد ساعديه أمام صدره قائلاً :
- السؤال الذى يحيرنى حقاً هو كيف تتوقع الخروج من هنا بعد سيطرتك التامة على الموقف داخل الطائرة؟
ألقى (أدهم) نظرة سريعة عبر نافذة الطائرة قبل أن يقول :
- من الواضح أن فريق الأوغاد المحترفين فى الخارج ينفذ خطة طوارئ خاصة جداً ستنتهى حتماً باقتحام الطائرة ، فى محاولة لإنقاذك و استعادة السيطرة على الموقف .
ثم ابتسم فى سخرية و لوح بمسدس (بيتون) مستطرداً :
- السؤال الآن هو : من سيطلق النار و يصيب هدفه أولاً؟ رجالك أم أنا؟
مط سير (وينسلوت) شفتيه و ابتسم فى هدوء مجيباً :
- ليس لدى أدنى شك فى أنه أنت .
قال (أدهم) فى حزم :
- من الجيد أن نتفق بهذه السرعة و ما دامت المعجزة قد حدثت فأنا أنصحك بـ ...
قاطعه سير (وينسلوت) بنفس الهدوء و هو يشير بأصابع كفه اليسرى :
- المشكلة أن خطة الطوارئ التى يتبعها الرجال صارمة و حازمة للغاية لذا فهم سيقتحمون الطائرة حتى لو تلقوا أمراً مباشراً منى بالعكس .
أدار (أدهم) عينيه , ليلقى نظرة سريعة أخرى على فريق المحترفين الذى اتخذ مواقع الاقتحام بالفعل و هو يقول فى صرامة :
- لن يمكنك إقناعى أبداً بأن ....
قبل أن يتم عبارته شعر فجأة بوخزة مباغتة حادة فى عنقه فاستدار إلى (وينسلوت) بحركة حادة و هو يرفع يده بسرعة إلى عنقه ليرتطم بصره بابتسامة زعيم (هيل آرت) الظافرة ثم ينخفض بسرعة إلى ساعته الكبيرة التى انزاح محور عقاربها على نحو ملحوظ قبل أن يسرى فى جسده كله خدر عجيب بسرعة مدهشة و تحجب عينيه غيمة باهتة مخيفة و صوت (وينسلوت) يأتى من أعماق سحيقة :
- كم يصيبنى الملل عندما أضطر لاستخدام السلاح نفسه مرتين و لكننى فى الواقع أشعر بشيء من الزهو ، لقدرتى على التصويب بكل هذه البراعة .
شعر (أدهم) بكل حنق وغضب الدنيا و هو ينتزع تلك الإبرة الدقيقة من وريده العنقى و (وينسلوت) يتابع بذلك الصوت الذى بدا أكثر عمقاً :
- يقول المحليون هنا أن هذه الوسيلة تسقط وحوش الأدغال فى غيبوبة عميقة خلال دقيقتين فحسب فماذا عنك؟!
كان (أدهم) يشعر بالغضب حتى تمنى لو يضغط زناد المسدس الذى يحمله لينسف رأس (وينسلوت) المتبجح
و لكن المسدس بدا ثقيلاً
ثقيلاً للغاية

ثقيل حتى أنه عجز عن رفع فوهته و...
و فجأة انتهى كل شيء
و سقط (أدهم) مرة أخرى
سقط أسيراً بين أعدائه
أعدى أعدائه

* * *

3-الموقع (صفر)

حمل صوت رجل أمن السفارة كل توتره و انفعاله وهو يقدم تقريره إلى الملحق العسكرى قائلاً :
- لا أحد يعلم وجهة طائرة سير (وينسلوت) يا سيدى لقد بذلنا كل المحاولات الممكنة و لكن السجلات لا تحوى أية تفاصيل و الكل حرص على عدم إلقاء سؤال واحد على عضو مجلس العموم الذى اوحى بأنه مسافر فى مهمة سرية ، لحساب رئيس الوزراء شخصياً .
انعقد حاجبا الملحق العسكرى المصرى و هو يغمغم :
- من الواضح أن سير (وينسلوت) هذا رجل حذر و دقيق للغاية .
غمغم رجل الأمن بدوره :
- هذا يبدو واضحاً يا سيدى .
أشار الملحق العسكرى بسبابته قائلاً :
- و لكن القاعدة تقول : إنه ما من نظام محكم إلى الحد الأقصى هناك حتماً ثغرة ما ، فجوة تتسرب منها معلومة هنا أو أخرى هناك و عندما تتراص المعلومات الصغيرة إلى جوار بعضها البعض تصنع معلومة كبيرة يمكنها أن توصلنا إلى الهدف .
تسائل السفير فى توتر :
- و من أين نحصل على تلك المعلومات الصغيرة؟!
أجابه الملحق العسكرى بسرعة :
- من بنك المعلومات الخاص بنا .
ثم توقف لحظة قبل أن يضيف فى حزم :
- من (القاهرة) .
"لهذا نحتاج إلى جمع كل المعلومات الممكنة عن منظمة (هيل آرت)"

نطق نائب مدير المخابرات المصرية العبارة و هو يحمل ملفات المعلومات التى تضمها خزانة أسرار الجهاز عن منظمة الجاسوسية الإجرامية و لكن المدير أشار بيده فى حزم و هو يقول :
- ليس هذا فحسب و لكننا نحتاج إلى كل المعلومات التى ظلت بلا تفسير فى السنوات الثلاث الماضية التى ظهرت خلالها (هيل آرت) إلى الوجود .
هتف نائبه فى حماس :
- سنفعلها يا سيدى .
لم تمض دقائق عشر على هتافه حتى كان فريق من الرجال يجتمع حول مائدة الاجتماعات الرئيسية و أفراده يتبادلون كل ما لديهم من معلومات عن كل الحوادث الغامضة و يناقشونها و يدرسونها فى عناية و بعد مرور ساعة ونصف الساعة كانت أمامهم مجموعة من الحقائق التى يمكن ربط بعضها ببعض
و عندئذ فرد نائب المدير خريطة كبيرة على الجدار و هو يقول :
- لو توقفنا أمام تلك الأمور التى سجلها المراقبون ، مؤخراً فى (أمريكا) الجنوبية و ربطناها بأحداث (أوروبا) و تحركات منظمة (هيل آرت) ثم راجعنا خط سير طائرة (وينسلوت) خلال العام السابق فسيقودنا كل هذا إلى منطقة واحدة واضحة..
"أدغال (البرازيل)"
كان هذا هو الموقع الذى استقر عليه عقل (سونيا جراهام) ضابطة (الموساد) الجديدة و ابنة (دافيد جراهام) رجل (الموساد) المخضرم و الذى أشارت إليه داخل القسم الفنى فى (تل أبيب) قبل أن تضيف فى بساطة أقرب إلى اللامبالاة :
- هنا حتماً يوجد الوكر الرئيسى لمنظمة (هيل آرت) .
راجع رئيسها العوامل التى أوصلتها إلى هذا الاستنتاج قبل أن يرفع عينيه إليها قائلاً فى انبهار :
- من الواضح أن والدك كان على حق ..أنت عبقرية بالفعل على الرغم من سنوات عمرك القليلة.
رسمت (سونيا) على شفتيها ابتسامة ساحرة و هى تقول :
- و منذ متى كان العمر مقياساً للتفوق؟!
نطقتها بنعومة مثيرة خفق معها قلب رئيسها قبل أن يغمغم :
- لم يكن أبداً كذلك .
أدركت بذكائها تأثير سحرها عليه فضاعفت ابتسامتها العذبة و هى تقول فى دلال مثير متطلعة إلى عينيه مباشرة :
- هذا مؤكد .
خيل للرجل أن ساقيه قد تخاذلتا مع خفقات قلبه العنيفة على الرغم من خبراته العديدة و الطويلة إلا أنه سرعان ما استعاد سيطرته على نفسه و هو يسألها فى توتر متحاشياً النظر إليها مباشرة :
- هل توصلت إلى هوية ذلك المصرى؟!
ابتسمت فى خبث و هى تهز كتفيها الجميلين قائلة :

- ليس تماماً الصورة التى حصل عليها أبى من سير (وينسلوت) ليست واضحة تماماً و لكننى جمعت كماً معقولاً من المعلومات قادنى إلى خيط قوى و أنا أسحب ذلك الخيط الآن و قبل صباح الغد سأكون قد توصلت إلى هويته التى أعتقد أنها لن تقل إبهاراً عن قدراته .
عاد رئيسها يرفع عينيه إليها بنظرة مستنكرة و هو يقول :
- تتحدثين كما لو أنك مبهورة به!
هزت كتفيها مرة أخرى و هى تجيب فى جرأة :
- إننى مبهورة به بالفعل .
تضاعفت نظرة الاستنكار الغاضبة فى عينيه ، فأضافت فى جرأة أكثر :
- و أتمنى لو ألتقى به يوماً .
انعقد حاجبا رئيسها و قد بلغ غضبه واستنكاره ذروتهما ، فشرد بصرها هى فى استمتاع مدهش و هى تكمل :
- فمن المؤكد أنه سيكون لقاء متميزاً إلى أقصى حد .
فى نفس اللحظة التى نطقت فيها عبارتها كان (بيتون) يقول فى عصبية شديدة :
- ما زلت لا أفهم هذا أيها الزعيم! إننا نخاطر بإحضار خصم شديد البراعة و الدهاء و واسع الحيلة إلى حد مدهش إلى الموقع (صفر) أخطر و أهم مواقع المنظمة دون مبرر أمنى منطقى .
رمقه سير (وينسلوت) بنظرة ساخرة و هو يقول :
- أهذا رأيك كخبير أمنى من الدرجة الأولى؟!
أجابه (بيتون) فى عصبية :
- بالتأكيد .
انعقد حاجبا سير (وينسلوت) و هو يقول فى غضب مفاجئ :
- غبى!
تراجع (بيتون) فى دهشة مصدومة و هو يهتف :
- ماذا؟!
أجابه سير (وينسلوت) بمنتهى الصرامة :
- نعم أنت غبى بل أغبى رجل أمن عرفته فى حياتى كلها ألم تتعلم قط أنه من الخطأ أن تتخلص من خصم ينتمى إلى تنظيم قوى قبل أن تعرف منه مقدار ما يعرفه ذلك التنظيم عنك؟!
انتبه (بيتون) فجأة إلى تلك الحقيقة الأمنية الواضحة التى غابت عن ذهنه من فرط انفعاله فغمغم فى توتر :
- الواقع أننى....
قاطعة سير (وينسلوت) بنفس الصرامة :
- الواقع أنك قد تراخيت و ترهلت و لم تعد تمتلك الكفاءة نفسها التى كنت تتمتع بها إبان عملك فى المخابرات البريطانية سابقاً و الدليل على هذا هو أنك قد صرت سريع الانفعال و كثير التوتر إلى الحد الذى يفقدك سيطرتك على عقلك و أعصابك و

يتعارض مع سرعة استجابتك إلى الحد الذى جعل ذلك المصرى يفقدك الوعى و ينتزع منك مسدسك قبل حتى أن تنتزعه من غمدك فى الطائرة .
انتفض جسد (بيتون) و هو يقول فى انفعال :
- لو أنه مقاتل عادى لما .....
قاطعة سير (وينسلوت) مرة أخرى بمنتهى القسوة :
- قلها فقط لو أنك مجرد رجل أمن عادى لا يمكنه أن يواجه سوى خصوماً عاديين .
ثم انعقد حاجباه فى شدة و هو يضيف :
- و يتقاضى أجراً عادياً محدوداً .
امتقع وجه (بيتون) فى شدة و هو يغمغم :
- سير (وينسلوت) إننى ....
قاطعة سير (وينسلوت) هذه المرة أيضاً و هو يشعل سيجاره الفاخر قائلاً فى صرامة :
- مر رجالك بتجهيز قسم الاستجواب أريد معرفة كل ما يختزنه ذلك المصرى فى رأسه من أسرار و معلومات قبل مطلع شمس الغد.
ثم تراجع فى مقعده و نفث دخان سيجاره بكل قوته قبل أن يضيف فى استمتاع وحشى عجيب :
- فمن المؤكد أن أصدقائنا الإسرائيليين سيدفعون الكثير مقابل الرجل و معلوماته الكثير جداً .
غمغم (بيتون) و هو يندفع لتنفيذ الأمر :
- فوراً أيها الزعيم .
ففى أعمق أعماقه كان يرغب أيضاً فى انتزاع المعلومات من رأس (أدهم) و بأعنف طرق الاستجواب
على الطلاق

* * *

"من المستحيل أن نسمح بحدوث هذا!!"
نطق مدير المخابرات المصرية العبارة فى حزم و هو يتطلع على الموقع الذى حدده نائبه على خريطة (البرازيل) قبل أن يتابع فى صرامة :
- فلو أن الرائد (أدهم) هناك على قيد الحياة فمن الضرورى أن نسعى لاستعادته و بأى ثمن .
اندفع أحد الرجال يقول :
- إننا نتحدث عن احتمالين بالغى الأهمية يا سيادة المدير أولهما أن يكون رجلنا الرائد (أدهم) هناك و ثانيهما أن يكون...
لم يرغب فى إتمام عبارته و لكن المدير عقد حاجبيه قائلاً فى صرامة :
- إنه هناك .
ثم رفع سبابته أمام وجهه مضيفاً :
- و على قيد الحياة حتى لحظة وصولة إلى هناك على الأقل .

تطلع إليه الرجال فى حذر و تبادلوا نظرة صامتة جعلت المدير يواصل فى حزم و صرامة أكثر :
- فلو أن الرائد (أدهم) قد لقى مصرعه هناك فى قصر (وينسلوت) لما كانت هناك أية ضرورة للسفر العاجل و بهذه السرية التامة إذ لم يكن التخلص من جثته ليمثل صعوبة كبيرة مع رجل له حصانته و مساحة شاسعة يملك فيها كل السلطة و القوة و طاقم من المحترفين الذين يمكنهم إزالة كل أثر للجثة و التعامل بثقة و هدوء مع رجال الشرطة أيضاً .
تبادل الرجال نظرة صامتة أخرى و قد بدا لهم تفسير المدير منطقياً للغاية و خاصة عندما واصل قائلاً :
- ثم إن سير (وينسلوت) يقود وفقاً لمعلوماتنا و استنباطاتنا منظمة جاسوسية قوية دون دليل واحد يمكن أن يثبت هذا و من الضرورى و الحال هكذا أن يسعى لمعرفة ما انكشف من أمره عبر استجواب أسيره بكل الوسائل الممكنة .
بدا الوجوم على وجوه الرجال قبل أن يقول احدهم فى توتر :
- الواقع يا سيدى أن هذا يبدو أكثر صعوبة و خطورة فمن المؤكد أن منظمة كهذه ستستخدم أبشع الوسائل الممكنة المتصورة و غير المتصورة للوصول إلى أغراضها و انتزاع المعلومات من خصومها و هذا يعنى أنه حتى لو كان الرائد (أدهم) على قيد الحياة هناك الآن فلا أحد يمكنه أن يتصور ما سيكون عليه حاله بعد ساعة واحدة من الاستجواب .
و مع قوله هذا انعقد حاجبا المدير بمنتهى الشدة و قال فى حزم صارم :
- و هذا يعنى ضرورة أن نتحرك بسرعة لكشف موقع الوكر السرى الرئيسى للمنظمة فى (البرازيل) قبل أن نفقد أفضل رجالنا على الإطلاق .
و فى هذه المرة لم ينبس الرجال بكلمة
أية كلمة

* * *

"أريده أن يدلى بكل ما لديه خلال ساعة واحدة"
نطقها (بيتون) بمنتهى الصرامة و هو يراقب رجاله الذين حملوا (أدهم) الفاقد الوعى نحو مقعد معدنى يتصل بجهاز تحكم كهربى عبر مجموعة من الأسلاك القوية
و بينما يضع الرجال جسد (أدهم) على المقعد غمغم أحدهم :
- إنه يبدو قوياً و ربما يحتمل التعذيب الكهربى لوقت طويل .
انعقد حاجبا (بيتون) و هو يقول :
- سأعمل على أن يبلغ عذابه ذروته ..اطمئن .
قال آخر و هو يحل قيود (أدهم) ليثبت معصميه إلى المقعد المعدنى :
- حذار إذن أن يلقى مصرعه فالزعيم لن يغفر لنا هذا أبداً ، لأن مصرعه سيمحو كل ما يمكننا استخلاصه منه من أسرار أو معلومات أو....
قبل أن يتم عبارته كان قد انتهى من حل قيود معصمى (أدهم) لذا فقد فوجئ بهذا الأخير يهوى على فكه بلكمة كالقنبلة هاتفاً فى سخرية :
- اطمئن أيها الوغد .

ثم أعقبها بلكمة أكثر قوة مضيفاً :
- لن تحصل على أية معلومات .
كانت قدماه مقيدتين بحبال قوية لم تحل بعد عندما انقض عليه رجال (بيتون) الثلاثة الأقوياء فى غضب هادر و هذا الأخير يصرخ فيهم بكل غضب و توتر الدنيا :
- لا تسمحوا له بالإفلات أنتم تفوقونه عدداً و قوة اسحقوه ..اسحقوه تماماً .
كان رجاله الثلاثة أيضاً يتصورون أنه على حق تماماً و هم ينقضون على (أدهم) المقيد القدمين بمنتهى العنف و الشراسة
و لكن (أدهم) أمسك مسندى المقعد المعدنى بقبضتيه فى قوة و رفع جسده إلى أعلى و هو يقول ساخراً و كأنما يواجه موقفاً مرحاً :
- هنا تأتى أهمية تمارين المتوازيان القديمة .
و برشاقة مذهلة اتسعت لها عينا (بيتون) عن آخرهما ارتفعت قدما (أدهم) المقيدتان اعتماداً على ذراعيه القويتين و تحركتا برشاقة و مرونة مذهلتين فى كل الاتجاهات تقريباً
و بسرعة أكثر إذهالاً
و أمام عينى (بيتون) و مع انفعاله الجارف تلقى رجاله ركلات قوية عنيفة فى وجوههم و صدورهم و بطونهم
و تراجع (بيتون)
تراجع مذهولاً مذعوراً
و لكنه تراجع لحظة
لحظة واحدة فحسب انتبه بعدها إلى أن (ادهم) ما زال مقيد القدمين و ما زال يمسك ذلك المقعد المعدنى
لذا فقد نفض (بيتون) كل انفعالاته عن رأسه فى لحظة واحدة و اندفع مرة أخرى نحو وحدة التحكم الكهربى
و بكل قوته ضغط زر إطلاق التيار الكهربى
بأقصى طاقة يمتلكها الجهاز
و فى ثانية واحدة تلقى إشارة على شاشة الجهاز الصغيرة تؤكد أن التيار الكهربى القاتل قد بلغ المقعد المعدنى
و فى الوقت نفسه رأى جسد (أدهم) ينتفض
و ينتفض
و ينتفض
بمنتهى القوة
و على نحو مميت
تماماً

* * *

4-الصدمة

ارتفع حاجبا قائد تلك الطائرة الخاصة فى العاصمة البرازيلية و هو يحدق فى وجهى الرجلين أمامه مغمغماً بكل الدهشة :

- طائرة خاصة؟! فى هذه الساعة و لماذا؟!

أجابه أحدهما بلغة برتغالية سليمة و لهجة صارمة توحى بأنه قد اعتاد نظاماً عسكرياً صارماً :

- أظن المقابل الذى عرضناه يكفى لمنعك من إلقاء الأسئلة أليس كذلك؟!

تردد الرجل لحظة ثم قال فى شيء من الحدة :

- ربما كان كذلك و لكننى أكره المتاعب و لست مستعداً لمواجهة الشرطة و....

قاطعه الرجل الآخر فى صرامة أكثر :

- لا شأن للشرطة بما نسعى إليه .

و أضاف الأول فى غلظة :

- السؤال هو : هل تقبل العرض أم نبحث عن طيار آخر؟

راجع الرجل ذلك المبلغ الذى عرضه لاستئجار طائرته قبل أن يهز رأسه قائلاً فى لهجة متخاذلة :

- كل ما أنشده هو ألا أتعرض للمتاعب .

قال الرجل الثانى بنفس الصرامة :

- لا تقلق فى هذا الشأن .

مط الطيار شفتيه و هز رأسه محاولاً طرح ذلك التوتر الذى يملأ كيانه جانباً ثم قال فى حذر :

- و لكن أين تنشدان الذهاب بالضبط؟!

فرد الأول أمامه خريطة للبرازيل و أشار إلى نقطة عليها قائلاً :

- أقرب منطقة هبوط إلى هذه البقعة .

ألقى الطيار نظرة على تلك البقعة التى أشار إليها الرجل ثم تراجع بحركة حادة هاتفاً :

- هناك؟!

تسائل الثانى فى حدة :

- لا تقل : إنك لا تستطيع التحليق فوق ذلك البركان الخامل .

أجابه الطيار فى عصبية :

- التحليق ليس مشكلة و لكن الهبوط هو مشكلة المشاكل فأقرب مكان يصلح لهذا هنا قبل منطقة الجبال و هذا يبعد عما تنشدانه مائتى ميل على الأقل .
تبادل الرجلان نظرة قلقة ثم مال الأول نحوه قائلاً :
- هناك حتماً وسيلة لبلوغ ذلك البركان خلال ساعتين على الأكثر و نحن مستعدان لدفع ضعف المبلغ من أجل هذا .
برقت عينا الطيار فى جشع واضح و لكنه لم يلبث أن هز رأسه قائلاً فى توتر :
- و لكن لا توجد وسيلة فعلية لهذا ربما أستطيع الاتصال بمن يؤمن لكما سيارة رباعية الدفع صالحة لاختراق منطقة الأحراش هناك و لكن منطقة الهبوط ستظل تبعد...
قاطعة الثانى فى صرامة شديدة :
- هل يمكنك أن تؤمن لنا مظلتى هبوط أيضاً .
أدرك الطيار ما يعنيانه على الفور فاتسعت عيناه عن آخرهما و هو يحدق فيهما ثانية متسائلاً بأنفاس مبهورة :
- من أنتما بالضبط؟!
زمجر الأول و هو يسأله :
- ليس هذا من شأنك هل يمكنك تأمين المظلتين أم لا؟!
و لم يستطع الطيار النطق بحرف واحد هذه المرة
فقط أومأ برأسه إيجاباً
و كان هذا يعنى بداية ليلة طويلة
طويلة للغاية

* * *

انعقد حاجبا سير (وينسلوت) فى شدة عندما تذبذب ضوء مصباح حجرته بغتة على نحو استوعب مدلوله على الفور فالتقط بوق جهاز الاتصال الداخلى قائلاً فى صرامة :
- ماذا يحدث عندك يا (بيتون)؟
لم يتلق جواباً مباشراً من قبو الاستجواب فازداد انعقاد حاجبيه و هو يغمغم :
- هذا ما كنت أخشاه .
قالها و ضغط زر اتصال آخر ليتابع فى صرامة آمرة :
- فليذهب فريق من خمسة رجال مسلحين ، لفحص قبو الاستجواب فوراً أريد تقريراً واضحاً مفصلاً خلال خمس دقائق فحسب .
و أنهى الاتصال و تراجع ينفث دخان سيجاره الفخم متمتماً :
- ترى هل؟!
و لم يتم تساؤله ..
أو يحاول حتى هذا
و لكن السؤال ظل يلتهم عقله
و جسده
و كيانه كله

تماماً كالقاعدة التى وضعها لعمله
بلا رحمة
و على الرغم من دقة الموقف و خطورته و حساسيته و الأفكار المقلقة التى تدور فى رأسه تراجع فى مقعده و التقط نفساً عميقاً من سيجاره و ضغط كل أزرار شاشة الرصد فى حجرته و راح يراقب و ينتظر
و فى نفس اللحظة نفسها كان فريقه المكون من خمسة رجال مدججين بالسلاح يعدو عبر الممر الطويل الذى يقود إلى قبو الاستجواب و قائده يقول فى صرامة :
- ابذلوا قصارى جهدكم للسيطرة على أى موقف نجده هناك لن أقبل التراجع أو الفشل هل تفهمون؟!
بلغوا مدخل القبو فأشار إليهم بالتوقف ثم شد إبرة مدفعه الآلى و هو يقول فى صرامة أكثر :
- استعد..اهجم.
و مع إشارته اقتحم الخمسة المكان بمنتهى العنف و أسلحتهم مشهورة أمامهم فى تحفز و فوهاتها تحمل الموت لكل من يستفزها و
و كانت الدهشة من نصيبهم جميعاً
فباستثناء الرجال الثلاثة و قائد الحرس (بيتون) الذى شاركهم غيبوبة عميقة و عدداً من الكدمات البارزة كان قبو الاستجواب فارغاً
فارغاً تماماً
و بكل التوتر التقط قائد الفريق جهاز اتصاله اللاسلكى الخاص و ضغط زره ليقول بكل توتره :
- سير (وينسلوت) لا يوجد فى القبو سوى رجالنا السيد (بيتون) و ثلاثة آخرين .
اعتدل (وينسلوت) على مقعده و هو يتساءل فى توتر :
- و كيف هم؟!
ازدرد الرجل لعابه بكل انفعاله قبل أن يقول بصوت مختنق :
- فاقدى الوعى .
انعقد حاجبا سير (وينسلوت) و أطفأ سيجاره محاولاً كتمان مشاعره معه و هو يقول فى صرامة :
- و أين ذلك الرجل الذى أحضرناه من (لندن)؟
تلفت قائد الفريق حوله قبل أن يجيب فى عصبية :
- لا يوجد له أدنى أثر .
ازداد انعقاد حاجبى (وينسلوت) و هو يقول :
- و لكن هذا مستحيل! لا يوجد مخرج للقبو سوى ذلك الممر الذى وصلتم إليه عبره و هو تحت الحراسة منذ البداية .
عاد الرجال يتلفتون حولهم فى توتر قبل أن يتساءل قائدهم وقد تضاعفت عصبيته :
- أين ذهب إذن؟!
لم يكد يتم عبارته حتى سمع صوتاً من أعلى يقول فى سخرية :
- هنا .

و انتفضت أجساد الرجال الخمسة و هم يرفعون رءوسهم و فوهات مدافعهم على أعلى
و...
و انقض (أدهم)

* * *

و حتى يمكننا استيعاب هذا الموقف العجيب فى قبو الاستجواب داخل المقر رقم (صفر) لمنظمة (هيل آرت) فى قلب أدغال (البرازيل) لابد و أن نعود بكل الأحداث إلى لحظة سابقة ، لحظة أطلق (بيتون) ذلك التيار الكهربى القوى فى مقعد الاستجواب المعدنى ، اللحظة التى انتفض فيها جسد (أدهم) بعنف ثم سقط أرضاً
ففى تلك اللحظة أطلق (بيتون) صرخة مكتومة و هو يهتف :
- خسرت أيها المصرى المتحذلق .
و اختطف مدفعاً آلياً و وثب نحو (أدهم) الملقى أرضاً و...
"هل تتصور أن هذا أمر بسيط؟!"
نطقها (أدهم) و هو يثب من مكانه بغتة و يستقبل (بيتون) بركلة عنيفة فى صدره ألقته مترين إلى الخلف ليرتطم بجهاز التحكم فى المقعد المعدنى و يسقط معه أرضاً فى قوة و على الرغم من عنف الركلة و عامل المفاجأة القوى استجمع (بيتون) جأشه و قواه فى سرعة و وثب واقفاً على قدميه و هو يرفع فوهة المدفع الآلى نحو (أدهم) صارخاً :
- لست أدرى كيف...
قبل أن يتم صرخته وثب (أدهم) مرة أخرى
و فى وثبته هذه ركل المدفع الآلى
و أنف (بيتون)
معاً
و سقط (بيتون)
سقط و قد فقد مدفعه و الدماء تتدفق من أنفه بغزارة
و لكنه و كرجل مخابرات بريطانى سابق وثب يواجه (أدهم) الذى عاجله بلكمة كالقنبلة فى فكه قائلاً:
- كان سباقاً بينى و بينك .
ثم أعقبها بأخرى ساحقة بين عينيه مباشرة مضيفاً :
- أنت ضغطت الزر و لكن بعد أن تخليت أنا عن المقعد بلحظة واحدة .
و سقط (بيتون) هذه المرة
و لم ينهض ثانية
و فى نفس اللحظة التى اعتدل فيها (أدهم) ظافراً انطلق صوت سير (وينسلوت) عبر جهاز الاتصال يتساءل عما حدث
و أدرك (أدهم) أنه سيفهم الموقف على الفور

و أنه حتى لو تقمص صوت (بيتون) فلن يقنع طبيعة (وينسلوت) المتشككة أبداً لذا فقد تجاهل ندائه تماماً
و بدأ يدرس الموقف استعداداً لمواجهة حتمية قادمة
و لم تمض بالفعل لحظات حتى سمع وقع أقدام يقترب
و يقترب
و يقترب
كانوا خمسة رجال كما أنبأته أذناه المدربتان و لم يكن أمامه من مخرج سوى الممر الذى يتعالى فيه وقع أقدامهم
لذا فقد أختار (أدهم) آخر مكان يمكنهم توقعه
السقف
و فى خفة مدهشة و مرونة يحسده عليها لاعبوا الجمباز وثب (أدهم) يتعلق بإطار مرتفع ثم قفز منه إلى بروز ضيق استعان بمثله ليلصق ظهره بالسقف مستنداً بكفيه إلى زاويتى جدارين متقابلين
و انتظر
و انقض الرجال الخمسة على المكان
و كان ما كان
بوثبة مدهشة سقط فوق آخر اثنين منهم
و بقبضتين فولاذيتين و قدمين كالمطارق الصلبة تعامل مع الخمسة
و فى حجرته مال سير (وينسلوت) نحو أجهزة الاستماع قائلاً فى اهتمام حاول جاهداً أن يخفى ما يحويه من توتر و قلق :
- ماذا يحدث عندكم هناك؟!
أتاه صوت ضربات
و لكمات
و ركلات
و فهم
فهم قبل حتى أن يأتيه صوت (أدهم) عبر جهاز الاتصال و هو يقول فى سخرية :
- معذرة يا زعيم المهرجين ، و لكن فريق البلياتشو كله لم يكمل فقرته الهزلية .
كظم (وينسلوت) غيظه فى صعوبة و هو يقول :
- ساخر كعهدى بك يا هذا و لكن قل لى : هل درست موقفك جيداً؟ فحسبما أعلم لا يوجد مخرج واحد من هنا يمر رغم إرادتى .
أجابه (أدهم) بنفس السخرية :
- أنصحك ألا تقلق نفسك بشأنى يا زعيم المهرجين ، فقد اعتدت أن أرعى شئونى بنفسى .
قال سير (وينسلوت) فى تحد :
- ليس داخل نظام أمنى محكم .
أطلق (أدهم) ضحكة عالية
ساخرة

مستفزة
أطلقها لتخترق أذنى زعيم منظمة (هيل آرت)
و تغضبه
و تشعل ثورته
إلى أقصى حد
فكلاهما كان يدرك حقيقة أساسية تتفق عليها كل أجهزة المخابرات فى العالم كله
لا يوجد نظام أمنى محكم مائه فى المائة
هناك حتماً ثغرة ما
فى مكان ما
ثغرة يمكن أن يكشفها عقل بارع
و يحسن استغلالها
و هدمها
و اختراقها
و على الرغم من ثقة سير (وينسلوت) فى أن (أدهم) يعد أكثر من واجههم فى حياته كلها حنكة و خبرة و براعة إلا أنه قال متحدياً :
- لن تجد سبيلاً للفرار من هنا أبداً .
مضت لحظة من الصمت ضغط (وينسلوت) خلالها زر جهاز إنذار صامت خاص نقل إشارة طوارئ كبرى إلى كل رجل من رجاله فى كل أنحاء المقر (صفر)
إشارة جعلتهم يتأهبون و يتحفزون جميعاً لاستقبال أوامر تحرك بالغة الخطورة على شاشات خاصة منتشرة فى المكان
و مع حركة أصابعه السريعة التى تنقل إليهم أوامره عبر تلك الشاشات سمع سير (وينسلوت) (أدهم) يقول فى سخرية :
- ما رأيك إذن لو حولنا الأمر كله إلى لعبة؟!
قال فى غلظة و أوامره تكتمل على الشاشات :
- لست أميل إلى الألعاب .
مع آخر حروف كلماته كان كل رجاله قد تلقوا الأوامر و حددوا موقع الهجوم و...
و انطلقوا
و فى سخرية هادئة قال (أدهم) عبر جهاز الاتصال الداخلى :
- هذه اللعبة بالذات ستروق لك كثيراً ، فهى لعبة تحد ، سأتحداك أننى أستطيع الخروج من هنا بل و وسأهدم المكان على رأسك أيضا .
قال سير (وينسلوت) متحدياً :
- و أنا أتحداك أنك لن تستطيع .
و هنا أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية و هو يقول :
- إذن فقد قبلت اللعبة .
كان سير (وينسلوت) يتابع على شاشاته فى تلك اللحظة رجاله الذين أطبقوا حصارهم على القبو تماماً لذا فقد قال فى سخرية حاول أن يحاكى بها أسلوب (أدهم)
- هذا لو وجدت الوقت لتلعبها .

نطقها و هو يضغط زراً آخر
و انقض أكثر من مائة من رجاله على المكان
بمنتهى منتهى العنف

* * *

5-الهارب

توقف سائق سيارة (الجيب) القوية فى تلك البقعة التى ابلغوه بالتوقف عندها و تطلع إلى ساعته فى توتر و هو يغمغم :
- يا له من مطلب عجيب فى ساعة كهذه!! كيف يمكن أن ألتقط زبائن فى هذه البقعة التى تكاد تخلو من الأحياء .
مرة أخرى ألقى نظرة على ساعته و تلفت حوله و...
و فجأة سمع أزيز طائرة تحلق فوقه فتحفزت عضلاته كلها و أمسك مسدسه بحركة غريزية و رفع عينيه إلى السماء المظلمة بحثاً عن تلك الطائرة إلا أن عينيه لم تلمحا سوى جسمين مستديرين يسبحان فى الهواء و حجمهما يتعاظم
و يتعاظم
و يتعاظم

و مع دقات قلبه العنيفة أدرك أن ما يراه هو مظلتى هبوط تقتربان من حيث يقف بسيارته و يقوداهما فى مهارة مدهشة رجلان قويا البنية و اتسعت عينا الرجل فى ذهول عندما هبطت مظلتا الهبوط عند موقع سيارته بالضبط و تخلص منهما الرجلان فى سرعة و مهارة توحيان باحترافهما قبل أن يثبا داخل السيارة و يقول أحدهما فى صرامة آمرة و هو يفرد خريطة أمام وجه السائق :
- دعنا ننطلق على الفور لنبلغ هذه النقطة قبل شروق الشمس .
و على ضوء مصباحه اليدوى تطلع الرجل إلى البقعة المشار إليها على الخريطة ثم قال فى شيء من العصبية :
- لا يمكن أن نصل إلى تلك النقطة على الإطلاق الطريق يبلغ ذروة الوعورة قبل كيلومترين منه و ...
قاطعة الثانى بنفس الحزم :
- دعنا نصل إلى أقصى ما يمكن أن نبلغه .
تردد الرجل لحظة قبل أن يقول فى توتر :
- ما زال هذا شديد الخطورة و لست مستعداً ...
قاطعة الأول هذه المرة بنفس الصرامة الآمرة :
- ستحصل على ضعف ما تطلبه .
و هنا سال جشع الرجل عبر لعابه الذى ازدرده فى توتر و أدرك سيارته قائلاً :
- تشبثا بمقعديكما إذن فالطريق وعر داخل الأدغال .
قالها و انطلق بالسيارة دون أن يضيف حرفاً واحداً
كان واثقاً من أنه لا يقل زبونين عاديين إلا أنه لم يحاول إلقاء سؤال واحد قط

* * *

انقض رجال (وينسلوت) على القبو بمنتهى العنف و فوهات مدافعهم الآلية كلها متحفزة و بعيون مدربة جاسوا المكان كله و وقع بصرهم على الرجال الفاقدى الوعى الذين تجردوا من ثيابهم و وسطهم (بيتون) و ...
و فجأة انقطع التيار الكهربى
و أظلم القبو كله
و كما تدربوا تماماً صنع الرجال بسرعة من أجسادهم دائرة مغلقة و انطلقت رصاصاتهم تغمر القبو كله و تضيئه كما لو أنها مصابيح صغيرة متناثرة
أما فوارغ الرصاصات فقد تطايرت فى كل صوب و راحت ترتطم بالأرض و الجدران لتصنع مع دوى الرصاصات سيمفونية شديدة التوتر كانت كفيلة بجعل سير (وينسلوت) يهتف فى صرامة :
- ماذا يحدث عندكم؟! ماذا يحدث؟!
ضاع هتافه فى البداية وسط دوى الرصاصات ثم لم يلبث قائد المجموعة أن التقطه فصاح بالرجال :

- أوقفوا إطلاق النار و تراجعوا على الفور .
هنا فقط انتبه (وينسلوت) إلى ثغرة فى نظامه الدفاعى لم ينتبه إليها أو تخطر بباله من قبل قط
أن نظام أمنه لم يفترض قط حدوث حالة انسحاب محتم
لذا فقد ارتبك الرجال و هم ينفذون أمر التراجع مع أمر إيقاف إطلاق النار
و مع الارتباك و الاضطراب سقط بعضهم تحت أقدام الآخرين و...
" توقفوا"
صرخ (وينسلوت) بالأمر فى صرامة أخفى بها عصبيته الداخلية و عقلة يدير الأمر فى كل خلية من خلايا مخه الرمادية
هذه الفوضى لم تحدث فى صفوف رجاله من قبل قط
و لكن كل العوامل تضافرت لحدوثها
الظلام المفاجئ
الخصم غير الواضح
أمر الانسحاب غير التقليدى
عوامل قد تكون عشوائية
أو...
فجأة قفزت الفكرة إلى رأسه و أضاءت فى عقله
و فهم الموقف كله
و بكل غضبه هتف :
- توقفوا فى أماكنكم و لا تسمحوا لأحد بالانفصال عن المجموعة قط ، أيها القائد استعرض رجالك و تأكد من أنك لم تفقد أحدهم .
هتف القائد فور سماعه الأمر :
- فليقف الجميع فى صفوف متوازية .
أسرع الرجال على الرغم من الظلام يقفون فى صفوف متراصة متوازية و يد كل منهم على كتف من أمامه قبل أن يهتف أحدهم :
- (جاك) ليس هنا يا سيدى .
بلغت العبارة مسامع سير (وينسلوت) فانعقد حاجباه فى غضب هادر حتى كادا يمتزجان و هو يهتف عبر أجهزة الاتصال :
- لقد فر منكم تحت أسماعكم و أبصاركم إنه هناك فى مكان ما داخل المقر (صفر)...أعلنوا حالة الطوارئ القصوى كل فرد عليه أن يثبت هويته مهما كان موقعه قبل أن يسمح له بالانتقال من موقع إلى آخر .. كل فرد بلا استثناء .
قالها و الغضب يكاد يعصف بنفسه
فلقد بدأ (أدهم) اللعبة بالفعل
بدأها على نحو بالغ البراعة
إلى أقصى حد

* * *

"لست أفهم"
هتفت (منى) بالكلمة فى انبهار شديد جعل (قدرى) يتوقف عن القراءة و يرفع عينيه إليها متسائلاً :
- ما الذى لا تفهمينه؟!
هزت رأسها فى حماس هاتفة :
- كل ما يحدث!
ثم التقطت أنفاسها المبهورة فى صعوبة قبل أن تشير بيدها متابعة فى انفعال :
- وقفاً لما أبلغتنى به فى البداية فمنظمة (هيل آرت) هذه كانت تفوق زمنها بكثير و تمتلك نظماً تقنية و تكنولوجية و أمنية يصعب تجاوزها فما بالك بالتعامل معها .
هز (قدرى) كتفيه قائلاً :
- و لكن (أدهم) لم يكن بالرجل الهين فبالإضافة إلى مهاراته النادرة و جرأته التى تبدو أحياناً أشبه بالتهور ، يتمتع بذكاء فريد يتيح له فهم و استيعاب كل جديد بسرعة تفوق الآخرين ثم أن ...
صمت بضع لحظات و ارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة جعلتها تسأله فى دهشة مستثارة :
- ثم أنه ماذا؟!
ظل على صمته الحالم بضع لحظات قبل أن يلتفت إليها قائلاً بنفس الابتسامة التى شملت وجهه المكتظ كله :
- فنان .
لم تفهم صلة كلمته هذه بما سبقها فتساءلت فى حيرة :
- ماذا تعنى بالضبط؟!
اتسعت ابتسامته و شرد ببصره بضع لحظات مما استفز ما تبقى من انفعالاتها فهتفت فى عصبية :
- هل تدرك ما تفعله بى بالضبط؟!
أطلق ضحكة قصيرة قبل أن يسألها :
- هل تعلمين لماذا أثار (أدهم) إعجابى إلى الحد الذى جعلنى أعتبره أصدق أصدقائى؟!
أجابته فى تردد :
- كانت بينكما حتماً مغامرة مشتركة .
هز رأسه نفياً و مال نحوها قائلاً :
- كلا لقد جذب انتباهى فى البداية بأصابعه الذهبية .
فغرت فاها متسائلة :
- و ما الذى يعنيه هذا؟!
اعتدل مجيباً :
- هل تتصورين أن انتحال شخصيات الآخرين أمراً هيناً؟! هل رأيت (أدهم) يوماً و هو يصنع قناعاً يشبه وجه شخص رآه مرة واحدة .
قالت و قد بدأت تفهم ما يعنيه :

- إنه بارع للغاية فى هذا المضمار .
هز رأسه نفياً ثم عاد يميل نحوها قائلاً فى انبهار حقيقى :
- بل هو معجزة ..موهبة مذهلة لم ينافسه فيها أحد قط .
تطلعت إليه بضع لحظات فى صمت قبل أن تقول فى حماس :
- أراهن أنه هناك أمر كبير خلف كلماتك هذه .
اتسعت ابتسامته و هو يجيب :
- بالتأكيد .
ثم ربت على الملف مضيفاً :
- و ستجدين هذا الأمر هنا .
قالها و عاد يقرأ
بكل الاستمتاع

* * *

"أين أنا؟!"
انتفض قائد الحرس (بيتون) و هو يستعيد وعيه فى حجرة سير (وينسلوت) الذى واجهه بصرامة قاسية و هو يشعل سيجاره الفاخر قائلاً :
- فشلت يا (بيتون) ..عهدت إليك بأمر ففشلت فيه على نحو مخز .
أجابه (بيتون) بصوت متحشرج و هو ينهض فى عصبية :
- ذلك الشاب ليس عادياً لقد ...
قاطعه (وينسلوت) و هو ينفث دخان سيجاره فى حدة :
- لا أريد أية تبريرات .
عقد (بيتون) حاجبيه فى توتر و لم ينبس ببنت شفة فقال (وينسلوت) و هو يضغط أزرار شاشات الرصد بالتتابع :
- هناك فرصة واحدة يمكنك أن تعوض بها فشلك الذريع .
سأله (بيتون) فى لهفة :
- و ما هى ؟!
أشار سير (وينسلوت) إلى شاشات الرصد التى تنقل صور كل مكان فى المقر (صفر) و قال :
- أن تعثر على ذلك الشاب بأى ثمن .
تسائل (بيتون) فى حذر :
- ألا يمكنك أنت العثور عليه يا سير "وينسلوت"؟
لم يرق السؤال لزعيم المنظمة الذى نفث دخان سيجاره مرة أخرى فى حدة و قال بمنتهى الصرامة :
- لو أنه يختبئ فى مكان ما هنا فهو يحسن هذا إلى حد كبير إذ أن شاشات الرصد كلها تعجز عن العثور عليه .
قال (بيتون) فى حماس :

- فى هذه الحالة ينبغى أن تتخلى عن الشاشات إذن .
التفت إليه (وينسلوت) مستنكراً و لكنه أضاف و هو يشير إلى رأسه :
- و أن نستخدم هذا .
ولولا دقة و حساسية الموقف لانفجر سير (وينسلوت) ضاحكاً فى سخرية مع هذه العبارة التى نطقها شخص يدرك أنه لا يتمتع بلمحة واحدة من الذكاء
و بكل صرامته التى أراد أن يدارى بها غضبه قال (وينسلوت) :
- ابحث عنه يا (بيتون) و أعثر عليه .
أجابه (بيتون) فى سرعة :
- أمرك سير (وينسلوت) .
ثم استدرك فى اهتمام :
- و لكننى أحتاج إلى خريطة دقيقة للمكان .
التفت إليه (وينسلوت) بحركة حادة فأضاف فى سرعة :
- معرفة المكان شيء .. و التخطيط للبحث عن شخص يختفى فيه شيء آخر .
كانت عبارة ذكية أدهشه أن ينطقها (بيتون) إلا أنه التقط لفه من الورق أمامه و ألقاها إليه قائلاً :
- ها هى ذى أمامك ثلث الساعة فحسب .
مع قوله و بتوافق مدهش ارتج المكان كله فى قوة و هتف (بيتون) فى عصبية :
- ما هذا بالضبط؟!
القى عليه (وينسلوت) نظرة باردة قبل أن يقول فى صرامة :
- ماذا أصابك؟! إنها واحدة من انفجاراتنا التى نحاول بها استثارة الحمم التى نستخدمها لتوليد الطاقة الهائلة التى نحتاج إليها مع سلاحنا الجديد .
لم يبد على وجه (بيتون) انفعال واحد و هو يلتقط مدفعاً آلياً و يقول بلهجة عسكرية حازمة :
- بالتأكيد سير (وينسلوت) .. بالتأكيد .
ثم اندفع نحو الباب و توقف لحظة ليقول فى حزم :
- سأعثر عليه قبل أن ينتهى الوقت .
مط (وينسلوت) شفتيه و كأنما لا يصدق هذا و لم يكد (بيتون) يغيب خارج الحجرة حتى تمتم :
- منتهى أملى أن يعثر هو عليك .
قالها و استرجع حديثه مع (بيتون) فى سرعة قبل أن يلتقط بدوره خريطة للمكان و يبدأ فى فحصها جيداً
كان واثقاً من أن (أدهم) قد استغل الفوضى التى أحدثها فى القبو ، ليرتدى ثوب أحد جنوده و يفر داخل المكان
و كان عليه أن يستنتج مساره
لو خرج من القبو إلى الممر السفلى سيكون بإمكانه عبور أحد ممرات التهوية فى غفلة من الآخرين لبلوغ ثلاثة أماكن
حجرة التوربينات

و قاعة التسليح
و المخزن ج
ممرات التهوية إذن هى ثغرة أخرى فى نظام أمنه المحكم خاصة و أنه لم يتم تزويدها قط بآلات تصوير أو مراقبة
ربما لأنه لم يتصور قط إفلات شخص كهذا داخل المقر (صفر)
و لكن من الضرورى تجاوز هذه الثغرة
و بأقصى سرعة
و فى المستقبل عليه أن يوسع دائرة افتراضاته و أن يضع المزيد من الاحتمالات لرتق الثقوب فى نظام الأمن
المهم أن يستعيد خصمه أولاً
بدأت أصابعه تضغط أزرار نظام المراقبة بالفعل للانتقال إلى شبكة مراقبة جديدة و ...
و فجأة اقتحم (بيتون) المكان حامل مدفعه الآلى و هو يهتف فى حماس :
- لقد عثرنا عليه .
و انتفض جسد سير (وينسلوت)
بعنف

* * *

6-الحمم

"هل تعتقد أن المصريين سيتميزون بنفس الخنوع و التخاذل؟!"
نطقت (سونيا جراهام) العبارة فى سخرية عبر أسلاك الهاتف فاخترقت أذن والدها (دافيد) داخل حجرة فى مبنى السفارة الإسرائيلية فى (لندن) و جعلته يقول فى غضب :
- هل تجاوزت حدود اللياقة إلى هذا الحد؟!
أجابته فى سخرية :
- تذكر ما علمتنى إياه منذ حداثتى يا أبى عالمنا لا مجال فيه للياقة أو المبادئ أو حتى الرحمة هناك فقط مكسب و خسارة انتصار و هزيمة .
قال فى غضب :
- من الواضح أنك قد وعيت الدرس جيداً
قالت فى استهتار :
- إننى اعى كل دروسى جيداً .
غمغم :
- أعلم هذا .
ثم أضاف فى عصبية :
- و لكنك تتجاوزين حاجز الانتماء أحياناً .
لم يكد يتم عبارته حتى هتفت بكل سخرية الدنيا :
- حاجز ماذا؟!
قالتها و انفجرت ضاحكة على نحو استفز مشاعره فقال فى حدة :
- أنت إسرائيلية أليس كذلك؟!
قطعت ضحكتها لتقول فى حزم مفاجئ :
- بالتأكيد .
ثم أضافت فى شراسة نقلتها أسلاك الهاتف فى وضوح :
- و لكننى لست متخاذلة .
قال فى حدة :
- ماذا تعنين؟!
أجابته بنفس الشراسة دون أن تقيم وزناً لأبوته :
- أعنى أننى هنا فى (تل أبيب) و لست فى (لندن) فلو كنت كذلك لانطلقت فوراً إلى أحراش (البرازيل)، لأضع نفسى فى قلب الأحداث مباشرة .
صمت (دافيد جراهام) لحظة و قد بدا له أن ابنته (سونيا) محقة تماماً فى قولها ثم قال فى صرامة :
- هذا ما سأفعله الآن .
قالت بسخريتها اللاذعة :

- بعد أن أضعت وقتاً ثميناً .
و هنا أنهى المحادثة بكل العنف
و كل الحزم
و كل الغضب

* * *

"إذن فقد عثرتم عليه"
نطق سير (وينسلوت) الكلمة فى ظفر واضح و هو يلتفت إلى قائد حرسه (بيتون) الذى هم بقول شيء ما عندما دوى الانفجار
انفجار عنيف ارتج له المكان كله
و كاد (بيتون) يفقد توازنه معه و هو يهتف :
- لقد فعلها .
اعتدل سير (وينسلوت) و هو يتساءل فى غضب :
- فعل ماذا؟!
هتف (بيتون) و هو يندفع خارج المكان :
- ماذا تتوقع من شيطان مثله يتجول حراً فى المكان .
انعقد حاجبا سير (وينسلوت) فى توتر و راحت أصابعه تضغط أزرار أجهزة الرصد قبل أن يشتعل الغضب فى عروقه
فالأضرار كانت واضحة
جلية
و بالغة
(أدهم) يحاول تدمير المكان بالفعل
و هذا يعنى ضرورة العثور عليه
بأقصى سرعة
و بأى ثمن
و بكل غضبه ضغط سير (وينسلوت) زر جهاز الاتصال اللاسلكى المحدد و هو يقول محاولاً الالتزام ببروده الأسطورى :
- (بيتون) عد على هنا فوراً .
مع آخر حروف كلماته دوى انفجار ثان
ثم ثالث
و تضاعف غضب سير (وينسلوت) أكثر
و أكثر
و أكثر
و اندفع (بيتون) داخل المكان صائحاً فى حدة :
- تلك الانفجارات أدت إلى ثورة البركان لو انطلقت حممه ستودى بنا جميعاً .
هتف سير (وينسلوت) :

- هراء جدران المقر (صفر) مصنوعة من سبيكة خاصة جداً و الممرات المحيطة بنا ستفرغ الحمم من حولنا دون أن تصيبنا لقد درسنا كل الاحتمالات ، الحمم لا يمكن أن تبلغنا .
و صمت لحظة ثم تألقت عيناه و هو يضيف :
- إلا لو أردنا هذا .
قالها و ذهنه يفكر فى شخص واحد
(أدهم)
(أدهم صبرى)

* * *

هز رجل المخابرات المصرى رأسه فى توتر بالغ و هو يراقب من بعيد تلك الحمم التى تسيل من قمة البركان و غمغم :
- ترى هل وصلنا فى الوقت المناسب؟!
تمتم زميله فى قلق واضح :
- أخشى أن ...
لم يستطع إكمال عبارته و هو يزدرد لعابه فى صعوبة و ذهنه يحاول عبثاً رسم صورة متفائلة للموقف
و لم يكن أحدهم يدرى أن سير (وينسلوت) زعيم منظمة (هيل آرت) كان فى هذه اللحظة بالذات يغرق المخزن ج بالحمم البركانية ليبيد (أدهم) داخله تماماً [1]
و على الرغم من جهلهما بما يحدث قال الأول لسائق الجيب فى صرامة :
- ألا يمكنك التقدم أكثر من هذا؟!
هز الرجل رأسه فى قوة قائلاً :
- ولا خطوة واحدة .
تبادل الرجلان نظرة شديدة التوتر ثم سأله أحدهما :
- هل أحضرت الأسلحة التى طلبناها؟!
كشف السائق غطاء من القماش السميك عن مؤخرة السيارة قائلاً فى توتر و عصبية :
- المدافع الآلية لم تكن متوفرة فى هذه الآونة و لكننى أحضرت مسدسين قويين و ...
و لم يمهله الرجلان ليكمل عبارته
لقد اختطف كل منهما مسدساً و دسه فى حزامه
ثم وثبا من السيارة
و اندفعا وسط الأحراش
و بكل توتره هتف السائق :
- لن يمكننى انتظاركما و ...
لم يجد هناك ضرورة لإكمال عبارته
فالرجلان كانا قد اختفيا فى قلب الأحراش

---

[1] راجع الجزء الأول (الجحيم) الفصل رقم واحد (الحصاد) من سلسلة الإنترنت .

اختفيا تماماً

* * *

لأول مرة فى حياته ترك سير (وينسلوت) مشاعره تفصح عن نفسها فى وضوح مع تألق عينيه الوحشى و تلك الابتسامة الكبيرة التى احتلت وجهه كله و هو يراقب الحمم التى راحت تلتهم ذلك الجسد فى المخزن ج
ففى تلك اللحظة على الرغم من وحشيتها أدرك أنه انتصر
و انتقم
و فاز فى معركته
و ...
و لكن مهلاً
هناك أمر غير طبيعى
فمن المؤكد أن الموت بسيل من حمم ملتهبة يعنى عذاباً رهيباً لا قبل لأى كائن فى الوجود به
و لكن صاحب ذلك الجسد لم يطلق صرخة واحدة
أو حتى آهة ألم
و هذا بكل المقاييس مستحيل!
مستحيل تماماً
مهما بلغت قوة احتمال أى كائن أو قوة أرادته فلا أحد يصمد أو يحتمل أمام النار
لا أحد
و لأول مرة فى حياته أيضاً لم يكتف سير (وينسلوت) بأفكاره و إنما نقلها إلى لسانه و هو يغمغم :
- إنه لم يطلق صرخة واحدة .
أتاه صوت (بيتون) من خلفه يقول :
- هذا أمر طبيعى .
انعقد حاجبا (وينسلوت) بشدة و هو يغمغم :
- أمر طبيعى؟!
ثم انتبه بغتة إلى أن صوت (بيتون) يختلف عما ألفه
فهو أقوى
و أكثر حزماً
و ثقة
و سخرية
و بسرعة استدار (وينسلوت) ، لمواجهة (بيتون) الذى تابع بصوت يخالف تماماً صوته المألوف :
- فهو مجرد دمية تدريب خشبية على سطح منزلق و ترتدى قناعاً مطاطياً متقناً .

و على الرغم من بروده الإنجليزى الشهير اتسعت عينا (وينسلوت) و هو يحدق فى (بيتون) قائلاً :
- مستحيل! ... أنت! أنت!
و هنا حمل صوت (بيتون) سخرية لاذعة لا يمكن أن تنتمى إليه و هو يقول :
- نعم .. هو أنا .
و مع قوله انتزع ذلك القناع المطاطى عن وجهه
وجهه الحقيقى
و بمزيج من الذهول و الغضب حدق سير (وينسلوت) فى وجه (أدهم) قائلاً :
- كـ.. كيف فعلتها؟!
هز (أدهم) كتفيه فى لا مبالاة و هو يقول فى بساطة و كأنه يجرى محادثة صحفية تقليدية :
- الأقنعة الاحتياطية أمر نصحنى به والدى فى حداثتى أن أحتاط لكل الاحتمالات مهما بلغت غرابتها و منذ اللحظة الأولى التى عرفتكم فيها و جمعت كل المعلومات الممكنة عنكم صنعت أقنعة لوجوهكم جميعاً .
أشار (وينسلوت) على شاشة الرصد قائلاً :
- و ماذا عن...؟!
قاطعة (أدهم) فى هدوء :
- إنه أمر أساسى أن أحمل دائماً قناعاً احتياطياً لوجهى أنا .
ثم هز كتفيه مضيفاً فى سخرية :
- فمن يدرى؟!
لم يشعر سير (وينسلوت) فى حياته كلها بالغضب و القهر مثلما شعر بهما فى تلك اللحظة و هو يغمغم:
- إذن فتلك الانفجارات ...
قاطعه (أدهم) مرة أخرى فى سخرية :
- أنا الذى صنعها فى كل مرة كنت أخرج للبحث عنى كنت أنسف منطقة أساسية فى مقرك .
ثم مال نحوه مكملاً :
- لقد راهنتك على نجاحى فى الفرار و فى تدمير مقرك أيضاً أليس كذلك؟!
رمقه سير (وينسلوت) بنظرة قاسية غاضبة قبل أن يلتقط سيجاراً فاخراً من علبة خشبية منقوشة أمامه و هو يقول :
- ربما تنجح فى تدمير المقر و لست أنكر أنها خسارة فادحة و لكن كل شيء مسألة نقود و لن يضيرنا أن نعيد بناء المقر و ...
قاطعه (أدهم) بنفس السخرية :
- هذا لو بقيتم .
ابتسم سير (وينسلوت) و هو يرفع قداحته إلى طرف سيجاره قائلاً فى هدوء استعاده بسرعة عجيبة :
- و من سيمنعنا من البناء؟!

نطقها و إبهامه يضغط طرف قداحته على نحو خاص و...
و انطلق من طرفها سهم دقيق للغاية
سهم يحمل مادة قاتلة هذه المرة
و انطلق نحو عنق (أدهم)
مباشرة
و بمنتهى الدقة

* * *

7-الجحر

"الدخلان يتسللان إلى النطاق الآمن"
همس أحد مراقبى منظمة (هيل آرت) بالعبارة عبر جهاز اتصال لاسلكى محدود و هو يختفى وسط أحراش (البرازيل) ثم تابع ببصره رجلى المخابرات المصرية و هما يخترقان المنطقة فى طريقهما إلى البركان القديم ، قبل أن يهمس :
- ننتظر الأوامر للتعامل معهما .
كان صوته هامساً منخفضاً حتى أنه لم يبلغ مسامع رجلى المخابرات و هما يشقان طريقهما وسط الأحراش و أحدهما يقول فى قلق :
- هل تتصور أنه من الممكن أن يكون هناك أحياء داخل ذلك البركان الثائر .
أجابه زميله فى حزم و هو يمسك سلاحه فى تحفز :

- ليس ثائراً كما يبدو هناك أدخنة تتصاعد من فوهته فحسب و خبراؤنا يرجحون أنها مجرد وسيلة للتعمية .
غمغم الأول :
- بهذه الكثافة؟!
أجابه الثانى فى اقتضاب :
- نعم .
ثم توقف بغتة و انعقد حاجباه فى شدة على نحو جعل زميله يسأله فى توتر متحفز :
- ماذا هناك؟!
أجابه و هو يتلفت حوله فى توتر شديد :
- هناك حركة ما كما لو أن ...
قبل أن يتم عبارته برز أولئك الرجال فجأة
عشرة من لابسى الأزياء العسكرية المموهة برزوا من وسط الأحراش كما لو أنهم قد نبتوا من العدم و فوهات مدافعهم الآلية القوية مصوبة فى تحفز كامل نحو الرجلين اللذين ارتفعت أيديهما بأسلحتهما فى استعداد قتالى غريزى سريع و ...
و لكن المعادلة كانت محسومة مسبقاً
فالمحيطون بهم كانوا من المحترفين حتماً
و فوهات مدافعهم القوية كان يطل منها الموت
عند أدنى حركة
و كان من الطبيعى أن يسترجع عقلا الرجلين كل ما درساه و تعلماه خلال فترة عملهما الطويلة
فالقتال فى مثل هذه الظروف كان يعنى الهزيمة
حتماً
ثم أنه من الواضح أن المحيطين بهما لا يسعون لقتالهما
ليس الآن على الأقل
هذا ما يعنيه عدم إطلاقهم النار مباشرة
و فى عالمهما ، هذا يعنى فرصة جديد للنجاة
فرصة لابد من استغلالها
و إلى أقصى حد
لذا فقد ألقى كل منهما سلاحه و رفعا أيديهما مستسلمين و عقلاهما يعدان خطة بديلة لقتال مفاجئ فى مرحلة تالية
و عبر جهاز اللاسلكى المحدود قال قائد المجموعة المموهة بصوت قوى واثق هذه المرة :
- الدخيلان فى قبضتنا ما زلنا ننتظر الأوامر للتعامل معهما
قالها وانتظر الجواب
انتظره طويلاً
جداً

* * *

من المؤكد أن سير (وينسلوت) يعد أحد القلائل الذين برعوا إلى حد مدهش فى استخدام ذلك السلاح الذى ابتكره الوطنيون فى أدغال (البرازيل)
الأسهم المخدرة
و القاتلة
و عندما أطلق ذلك السهم الدقيق نحو الوريد العنقى لـ(أدهم) لم يكن يسعى لتخديره كما فعل من قبل
بل لقتله
فوراً
و لقد انطلق السهم بالفعل نحو عنق (أدهم)
مباشرة
وقبل حتى أن هدفه كان سير (وينسلوت) يبتسم فى ظفر وثقة و ...
و لكن فجأة تحرك (أدهم)
تحرك بسرعة لم يتخيل سير (وينسلوت) حتى إمكانية حدوثها و هو يلتقط دفتراً مجاوراً و يرفعه أمام وجهه لينغرس فيه ذلك السهم الصغير الدقيق
و فى اللحظة نفسها تقريباً تحركت قدماه على نحو بالغ المرونة ليضرب السيجار من يد (وينسلوت) ثم يثب لالتقاطه فى الهواء قائلاً فى سخرية :
- فى بلادى يقولون : "لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين"
احتقن وجه سير (وينسلوت) و هو يغمغم :
- و ما المفترض أن يعنيه هذا؟!
مال (أدهم) نحوه و هو يقول فى سخرية لاذعة :
- أنك خسرت يا زعيم الأوغاد .
ازداد احتقان وجه (وينسلوت) و تطلع إلى عينى (أدهم) بضع لحظات فى مقت ما بعده مقت قبل أن يستعيد بروده الإنجليزى التقليدى فجأة و هو يقول :
- خطأ أيها المصرى .. خطأ .
ثم اعتدل بحركة حادة و هو يكمل :
- إنك لم تربح رهاننا بعد .
مع قوله انتبه (أدهم) إلى تلك الإلتماعة فى عينيه اللتين انعكس عليهما مشهد يدور خلف ظهره و هو مشهد (بيتون) الذى استعاد وعيه و وجد سبيله إلى المكان يتسلل مع ثلاثة من رجاله خلفه مباشرة
رأى (أدهم) الصورة منعكسة فى عينى (وينسلوت)
و وثب
وثب وثبة مدهشة و هو يدور حول نفسه فى مرونة و يشهر مدفعه الآلى فى مواجهة خصومة الثلاثة
و لكن (بيتون) كان يتوقع هذه المبادرة
أو كان يستعد لإطلاق النار بالفعل قبل حتى أن يقوم بها (أدهم)

هذا لأنه قد أطلق رصاصاته بسرعة
و نحو الهدف
مباشرة

* * *

لم يشعر (دافيد جراهام) رجل المخابرات الإسرائيلى القديم فى حياته كلها بذلك التوتر الذى شعر به و هو يجلس داخل الطائرة الخاصة التى تنطلق به من (لندن) إلى (البرازيل)
فمن الناحية المنطقية كان من المستحيل أن يصل إلى هدفه فى وقت مناسب
فالطائرة مع سرعتها الفائقة تحتاج إلى سبع ساعات كاملة لبلوغ هدفها الرئيسى
و مع رجل مثل (أدهم) تعد هذه الساعات السبع دهراً
دهراً كاملاً
و هذا يعنى من الناحية الإحصائية سيصل حتماً بعد فوات الأوان ، وهذا يزعجه بشدة
إلا أنه لا يستطيع العدول عن هذا
من الناحية الحرفية
و كرجل مخابرات محترف حاول أن يسترخى فى مقعده إلا أنه عجز عن هذا تماماً
فالتقط سماعة جهاز اتصال متصل بمقعده و قال للطيار فى صرامة ولدها توتره و قلقه :
- أريد اتصالاً مباشراً مع (برازيليا) .
أجابه الطيار بسرعة :
- فوراً يا سيدى .
لم تمض لحظات حتى تم الاتصال و راح (دافيد جراهام) يلقى أوامره لطاقمه فى العاصمة البرازيلية
أوامره بالاستعداد لتطورات غير متوقعة
غير متوقعة على الإطلاق

* * *

على الرغم من رد فعل (أدهم) البالغ السرعة لم يستطع جسده البشرى تفادى كل الرصاصات التى انطلقت نحوه
فمع استدارته شعر بخيط من النار يحتك بذراعه اليسرى
و آخر يمس جبهته
و سالت الدماء على وجهه و ذراعه
و لكنه لم يتوقف
لقد واصل انقضاضته بمنتهى القوة و العنف و ركل مدفع أحد الرجال الثلاثة المصاحبين لقائد الحرس (بيتون) ثم لكم الثانى فى أنفه مباشرة و انحنى متفادياً رصاصة الثالث قبل أن يركله فى صدره بمنتهى العنف على الرغم من الدماء التى

انزلقت لتعمى بصره تماماً ، كان موقفاً سخيفاً للغاية فعلى الرغم من أن جرح جبهته كان سطحياً إلا أن الدماء كانت تسيل منه بفعل الجاذبية الأرضية نحو عينيه مباشرة و تعيق مجال الرؤية ، و ...
و وسط هذا التعتيم الدموى انقض عليه (بيتون) بكل شراسة الدنيا و بمنتهى العنف
و مع استدارة قتالية هوت قبضة (بيتون) على فك (أدهم) الذى تراجع مع عنف اللكمة و ارتطم بحاجز أجهزة الرصد
و سقط مدفعه الآلى
و مع سقوطه صرخ سير (وينسلوت) متخلياً عن وقاره و بروده التقليديين الشهيرين :
- اقتله يا (بيتون) .. اقتله .
و رفع (بيتون) فوهة مدفعه الآلى بالفعل
و ضغط الزناد و هو يطلق زمجرة وحشية رهيبة
و لكن (أدهم) لم يكن بالخصم العادى
صحيح أن الرؤية كانت مشوشة أمام عينيه إلا أنها لم تكن منعدمة لذا فقد التقط ذلك الدفتر الذى أنغرس فيه سهم سير (وينسلوت) السام و ألقاه بكل قوته نحو (بيتون)
و مال (بيتون) لتفادى الضرب و لكن الدفتر ارتطم بكتفه فدفعه بيده جانباً و هتف فى وحشية و رصاصته تنطلق فى سقف المكان :
- أهذا كل ما يمكنك أن تقاتل به أيها المصرى؟!
و صرخ (وينسلوت) مرة أخرى :
- اقتله يا (بيتون) .
و تحفز (بيتون) مرة أخرى و أطل الموت من فوهة مدفعه الآلى و ...
و فجأة تجمدت ملامحه كلها
و اتسعت عيناه عن آخرهما
و انفرجت شفتاه فى مظهر مذعور يجمع بين الألم و الدهشة
ثم انطلقت من حلقه شهقة
و أدرك سير (وينسلوت) ما حدث
أدركه مع كل الغضب و المقت اللذين تفجرا فى أعمق أعماقه
فسهمه المسموم أنغرس فى كتف قائد حرسه
فى كتف (بيتون) ...
و سقط قائد الحرس جثة هامدة عند قدمى (أدهم) الذى اعتدل واقفاً ليمسح الدماء عن عينيه فى نفس اللحظة التى وثب فيها سير (وينسلوت) نحو أجهزته و ...

"قلت لك أنك قد خسرت"
قالها (أدهم) و هو يعترض طريقه فجأة فتوقف سير (وينسلوت) و حدق فيه بكل مقت الدنيا قبل أن يعتدل قائلاً فى عصبية لم يستطع أو حتى يحاول كتمانها هذه المرة :
- و لكنك لم تربح أيها المصرى .
قال (أدهم) فى سخرية :
- حقاً؟! كيف يبدو لك هذا الموقف إذن؟!

أجابه (وينسلوت) بسرعة :
- متعادلاً يا رجل .. أنت ما زلت داخل المقر (صفر) و الخروج من هنا ليس بالأمر السهل .
قال (أدهم) بنفس السخرية :
- ما زال رهاننا قائم .
اعتدل سير (وينسلوت) و هو يقول فى حزم :
- لن تربحه بالتأكيد .. لقد راهنتنى على أنك ستدمر المقر و تفر من هنا .
عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره قائلاً :
- و ما زال هذا قائماً .
هز (وينسلوت) رأسه نفياً و هو يقول :
- ربما أتفق معك على إمكانية تدمير المكان ، أما خروجك من هنا فهو أمر أشك فيه كثيراً يا هذا .
قالها و مال يضغط زراً خفياً فى أجهزة الرصد فانطلقت صفارة إنذار قوية فى المكان
صفارة تعنى حالة طوارئ قصوى
قصوى للغاية
و على الرغم من صوتها شديد الإزعاج لم يبد (أدهم) أدنى اهتمام و إنما بدا هادئاً واثقاً و هو يقول :
- ربما تبدو لك هذه مبادرة قوية ، و لكن من سوء حظك أننى مستعد لها تماماً .
قالها ثم أخرج من جيب خفى فى حزامه قناعاً مطاطياً رقيقاً يحمل وجه و ملامح (وينسلوت) نفسه و هو يكمل بصوت هذا الأخير عبر حنجرة مذهلة المرونة :
- و الأمر سيتوقف فى النهاية على ما سيراه رجالك .
أدهشه أن ابتسم سير (وينسلوت) فى عصبية و هو يقول :
- قد يدهشك أننى كنت أتوقع هذا أيضاً ، و لكن ما لم تتوقعه أنت هو أن ما تسمعه ليس مجرد إشارة إنذار طوارئ .
ثم مال نحو (أدهم) و تألقت عيناه فى وحشية عجيبة و هو يضيف :
- إنه إنذار تدمير هذا المقر ، ستغمره الحمم الملتهبة خلال خمس دقائق فحسب ، و هى أقل من أسرع وسيلة للخروج من هنا عبر كل المسارات التى أمامك .
و تألقت ضحكة فى عينيه لم تلبث أن انتقلت إلى حلقه على نحو جنونى و هو يضيف :
- هذا يعنى أنها نهاية المقر (صفر) ، و نهايتى ، و نهاية كل شخص هنا ، حتى أنت ، إنها نهايتنا جميعاً أيها المصرى .. نهايتنا جميعاً .
قالها و ترددت ضحكته العالية فى المكان كله
بمنتهى الوحشية
و منتهى الجنون

* * *

8-انطلاقة

ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتى (قدرى) و هو يتطلع إلى وجه (منى) الذى حمل كل الدهشة و الحيرة و مال نحوها يسألها بصوت خافت و كأنما يخشى أن يفسد حالتها هذه :

- ماذا بك؟!

حدقت فى وجهه لحظة ثم هزت رأسها و كأنها تنفض عنه حلماً ثقيلاً قبل أن تتساءل :

- كيف إذن؟!

اعتدل (قدرى) متسائلاً :

- كيف ماذا؟!

سألته فى انفعال :

- وفقاً لما ترويه لم يكن هناك مخرج واحد من ذلك المقر فى قاع البركان القديم الذى ستغمره الحمم حتماً ، و الدقائق الخمس المتبقية لم تكن تكفى لخروج (أدهم) .

أشار (قدرى) بسبابته قائلاً :

- وفقاً لما قاله (وينسلوت) .

تساءلت فى لهفة :

- هذا لم يكن حقيقياً إذن؟!

عاد (قدرى) يبتسم قائلاً :

- بل كان حقيقياً تماماً .

استعادت حيرتها و هى تقول :

- لم أعد أفهم ، هذا لو أنه حقيقي كيف نجا (أدهم) إذن من ذلك الموقف العصيب .

التقط (قدرى) نفساً عميقاً و قال بابتسامته الكبيرة :

- أنت تعرفين (أدهم) .

و عاد يميل نحوها قائلاً :

- عقله بارع للغاية فى الابتكار .

سألته بمنتهى اللهفة :

- ماذا فعل إذن؟!
اعتدل (قدرى) مرة أخرى و تنهد بمنتهى العمق
ثم عاد يروى
فى استمتاع

* * *

"لست أصدقك"
نطقها (أدهم) بمنتهى الهدوء فى مواجهة سير (وينسلوت) الذى انعقد حاجباه بمنتهى الشدة و هو يقول فى حدة :
- صدق أو لا تصدق أيها المصرى ، و لكن الحمم ستغمر المكان كله بالفعل خلال أقل من خمس دقائق .
أجابه (أدهم) بمنتهى الهدوء :
- ليس هذا ما أرفض تصديقه .
ثم مال نحو زعيم (هيل آرت) مستطرداً بنفس الهدوء المدهش :
- و إنما لا أصدق أن شخصاً أنانياً حقيراً مثلك يمكن أن يضحى بنفسه لأى سبب كان .
ازداد انعقاد حاجبى (وينسلوت) و هو يغمغم بمنتهى العصبية :
- ماذا تعنى؟!
قبض (أدهم) على ذراعه بحركة مباغته و أنغرست أصابعه الفولاذية فيه على نحو مؤلم ، و هو يقول فى صرامة مخيفة :
- أعنى أنه لديك حتماً وسيلة للفرار من هنا ، وسيلة يجهلها الكل سواك ، وسيلة أنانية ...و خاصة جداً .
لم يجب سير (وينسلوت) هذا القول
و لكن عينيه أجابتا
أجابتا على نحو لا يقبل الشك
فعلى الرغم من برودته التقليدية التمعت عيناه لحظة
ثم اضطربتا لحظة أخرى
و التقطت عينا (أدهم) الخبيرتان اللحظتين
و عرف جواب سؤاله ...
و ابتسم
ابتسم ابتسامة ظافرة أدرك سير (وينسلوت) معها الموقف فهتف بكل غضبه :
- لا لن تعرفها أبداً ، إننى أفضل الموت .
فوجئ بـ(أدهم) يعتدل قائلاً فى حزم :
- فليكن .
و قبل حتى أن تكتمل كلمته هوت قبضته على فك (وينسلوت) كالقنبلة

و اتسعت عينا (وينسلوت) عن آخرهما و دارتا فى محجريهما و أطل منهما مزيج من الدهشة و الألم و الذعر قبل أن يهوى فجأة فاقد الوعى فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت أنثوى آلى عبر مكبرات الصوت المنتشرة فى المقر (صفر) قائلاً :
- أربع دقائق قبل النهاية .
دقائق أربع قد تبدو مهلة قليلة للغاية بالنسبة لأى شخص عادى ، أما بالنسبة لرجل مثل (أدهم) فقد كانت كافية
إلى حد ما
و بأعصاب من فولاذ و دون أن يبالى بصفارة الإنذار المتقطعة التى لا تتوقف لحظة واحدة راحت أصابعه تعمل على أجهزة (وينسلوت)
لم يكن يملك سوى خبراته السابقة فى التعامل مع الطبيعة البشرية فرجل مثل (وينسلوت) سيحتفظ حتماً بوسيلة نجاة مضمونة
و قريبة
لابد و أن تكون فى متناول يده بحيث يمكنه بلوغها دون أن يضطر لمغادرة مكانه و العدو وسط رجاله المذعورين إذا ما اضطرت الحاجة إلى إخلاء المكان أو تدميره
على نحو عاجل
وسيلة الفرار هنا إذن
فى مكان قريب
قريب للغاية
و على الرغم من مهارته و سرعته فى التعامل مع الالكترونيات و الآليات راح الوقت يمضى فى سرعة حتى تردد ذلك الصوت الأنثوى مرة أخرى قائلاً فى آلية :
- دقيقتان على موعد التدمير الشامل التدفق يبدأ بعد عشر ثوان فقط ... عشرة .. تسعة .. ثمانية ..
اعتصر (أدهم) ذهنه و استعاد دروس والده القديمة فى تلك اللحظات الحرجة
"الوقت هو الوقت يا (أدهم) تملكه و لا يملكك و عقارب الساعة ستسير بنفس سرعتها شئت أم أبيت هدأت أو انفعلت"
لذا فقد طرح كل توتراته خلف ظهره و ركز تفكيره كله فيما أمامه و راحت عيناه تجوبان لوحة الأزرار و عقله يدرس
و يحسب
و يحلل
و ...
"بدأ التدفق فعلياً"
ارتفع ذلك الصوت الآلى بالعبارة و ظهرت على شاشات الرصد صور أرجاء المقر السفلية و قد بدأت الحمم تتدفق إليها و تتصاعد منها أدخنة كثيفة على نحو مخيف
أدخنة انتشرت فى المكان كله
بمنتهى السرعة
و وفقاً للمعيار أمامه ستبلغ الحمم موقعه بعد دقيقة واحدة على الأكثر
و ستصل الأبخرة السامة قبلها حتماً

و ربما بعد ثوان قليلة
و كان عليه أن يستعين بإرادة فولاذية ، للسيطرة على أعصابه و هو يطالع الأزرار مرة أخرى و ...
و توقف بصره هذه المرة عند شق صغير مخفى فى مهارة أسفل زر كبير
شق بدا مناسباً لمفتاح
مفتاح من طراز خاص
جداً
و بحركة حادة أدار عينيه إلى (وينسلوت) الفاقد الوعى و دون إضاعة لحظة واحدة اندفع يفتش جيوبه ، و ذلك الصوت الأنثوى الآلى يقول :
- دقيقة واحدة و يتم التدمير الكامل .
كانت الأبخرة السامة قد بلغت موقعه بالفعل و بدأت تنتشر تحت قدميه و هو يواصل بحثه عن ذلك المفتاح
ثم وقعت عيناه على دبوس ياقة سترة (وينسلوت) الذهبى
كان أشبه بسيف رومانى قديم
سيف لا يتفق قط مع انجليزى متعصب و متغطرس
و بسرعة التقط (أدهم) ذلك السيف الذهبى الصغير من ياقة سترة (وينسلوت) و عاد به إلى لوحة الأزرار ثم دسه فى ذلك الشق و أداره و هنا أضاء ذلك الزر الكبير أعلى الشق
و بلا تردد ضغطه (أدهم)
و بكل قوته
و كان الارتجاج عنيفاً
قوياً
مباغتاً
ارتجاج بدا للوهلة الأولى و كأنه نتاج تلك الحمم التى تضاعف تدفقها داخل المقر على نحو مخيف
ثم اختل توازن (أدهم) بغتة
اختل مع حركة حجرة (وينسلوت) التى اندفعت فجأة إلى أعلى كما لو أنها داخل مصعد قوى
بل كانت هى نفسها عبارة عن مصعد قوى
مصعد سريع راح يرتفع
و يرتفع
و يرتفع
و من أسفله دوت فرقعات
و انفجارات
أجهزة المقر (صفر) راحت تنفجر مع الحمم التى أغرقتها قبل أن ترتفع الحمم بسرعة عبر ممر ذلك المصعد المموه
و ارتفعت الحرارة داخل الحجرة و هى تصعد

و تصعد
و تصعد
ثم توقفت فجأة بالقرب من فوهة البركان
و انفتح جدارها
و على الضوء الخافت رأى (أدهم) أمامه ثلاث طائرات هليوكوبتر صغيرة فوق منصة مستديرة من المعدن بدا و كأنها تتموج بفعل الغازات المنبعثة من قاع البركان
و من أسفل المكان دوى هدير الحمم و هى تندفع إلى أعلى و أدرك (أدهم) أنه ليس أمامه لحظة واحدة يضيعها لذا فقد حمل (وينسلوت) على كتفه و انطلق يعدو به نحو إحدى طائرات الهليوكوبتر التى راحت تتموج فى عنف أكثر
و أكثر
و أكثر
و من بعيد سرى التوتر فى قلب كل من صم أذنيه هدير البركان القوى
رجال منظمة (هيل آرت) من ذوى الأزياء المموهة
و رجلا المخابرات المصريين
و سائق الجيب الذى لم يستطع التقدم داخل الأحراش
و فى توتر شديد غمغم قائد المرتزقة :
- ماذا يحدث عندكم؟! ما زلنا ننتظر الأوامر .
جاوبه دوى أكثر عنفاً أتى من قلب البركان القديم
و تبادل رجلا المخابرات نظرة
نظرة لم تتصل بكلمة واحدة
و لكنها حملت الكثير
و الكثير جداً
و فى توتر أدار قائد المرتزقة عينيه فى عيون رجاله قبل أن يقول فى توتر :
- لا إجابة .
و صمت لحظة ثم أضاف فى عصبية :
- لا أحد يجيب من الموقع (صفر) .
و شرد بصره مع استطرادته :
- ماذا أصابهم؟!
كان و رجاله يتابعون موقف البركان بأعصاب مشدودة إلى أقصى حد حتى أنهم لم ينتبهوا إلى أن رجلى المخابرات قد تباعدا بتكنيك مدروس و ...
و زمجر البركان مرة ثانية
و ثالثة
و رابعة
و فى كل مرة كانت الأبخرة المتصاعدة منه تتكاثف و تتزايد
و تتزايد
و تتزايد
و بكل عصبية الدنيا غمغم قائد المرتزقة :

- ترى أمن الممكن أن ...
انتبه أحد رجاله فى تلك اللحظة إلى حركة رجلى المخابرات فرفع فوهة مدفعه الآلى هاتفاً :
- احترس .
استدار رفاقه بحركة حادة و فوهات مدافعهم كلها متحفزة
و لم يعد هناك مفر من المواجهة
و انقض رجلا المخابرات المصريين وفقاً لما تدربا عليه
و كان من الواضح أننا أمام مذبحة
مذبحة بشرية رهيبة
لولا أن دوى ذلك الانفجار
انفجر البركان بغتة و تدفقت منه الحمم على نحو مخيف
نحو يوحى بأنه من المستحيل أن يبقى بعده أحياء
على الإطلاق

* * *

9-الختام

تألقت عينا الشابة (سونيا جراهام) فى استمتاع ملحوظ و هى تجلس أمام شاشة المعلومات الرئيسية فى مقر (الموساد) و غمغمت بصوت استرعى انتباه من حولها :

- مدهش .
استدار إليها زميل حجرتها متسائلاً فى حيرة :
- ماذا قلت؟!
لوحت بسبابتها فى الهواء و هى تلتفت إليه مكررة :
- مدهش ذلك المصرى .. مدهش بحق .
انعقد حاجباه فى توتر و يغمغم مستنكراً :
- مصرى؟! ماذا أصابك يا (سونيا) هل بلغ انبهارك بالمصريين هذا الحد؟!
أطلقت (سونيا) ضحكة عابثة قصيرة و هى تشير إلى شاشة المعلومات قائلة :
- ليس كلهم .. هو وحده .
حدق فيها بذهول أكثر متسائلاً فى حدة :
- من هو؟!
هزت كتفيها بدلال لا يليق بمتدربة شابة فى صفوف (الموساد) و هى تقول دون أن تفقد ابتسامتها :
- ذلك الذى يواجه (وينسلوت) فى أحراش (البرازيل) لقد أخبرنى عميلنا هناك أنه دمر المقر (صفر) تماماً
كاد الرجل يقفز من مقعده صارخاً :
- و هل يسعدك هذا؟!
عادت تهز كتفيها قائلة :
- القضاء على (وينسلوت) ليس قضاء على (هيل آرت) ، فالمنظمات القوية لا يهزها مصرع رجل واحد ، ولا حتى مقر واحد ، هذا درس تعلمته جيداً .
و شردت ببصرها مع ابتسامتها و هى تضيف :
- و سأعيه طيلة عمرى .
هب زميلها من مقعده و هو يقول فى عصبية :
- و لكنه خبر شديد الخطورة ، سأبلغه للقيادة فوراً .
تابعته ببصرها حتى غادر الحجرة ثم عادت تتطلع إلى شاشة المعلومات مغمغمة :
- لو أنك وسيم أيها المصرى فسنلتقى يوماً ما ... صدقنى سأسعى إلى هذا .
قالتها و ابتسامتها تتسع
و تتسع
و تتسع

* * *

مع دوى الانفجار فقد كل رجال (هيل آرت) أعصابهم لحظة
لحظة واحدة كانت كافية لينقض رجلا المخابرات المصريين بكل
قوتهما
و خبرتهما

و بضربة قوية أسقط أحدهم رجل كوماندوز ثم التقط مدفعه و هوى بكعبه على ثان ثم دار يركل الثالث فى صدره و هو يطلق رصاصات المدفع على الرابع
و فى اللحظة نفسها كان زميله يثب نحو رجلين فيركل أحدهما فى أنفه و الثانى فى صدره بضربة مزدوجة مدهشة
و لكن رجال الكوماندوز كانوا محترفين بحق
و على الرغم من عامل المفاجأة و النيران المتصاعدة من البركان و ما يحيط بها من أدخنة سوداء كثيفة تكفى لإثارة الرعب فى قلب أكثر المخلوقات بأساً و سعادة إلا أن رجال (هيل آرت) كانوا من المحترفين لذا فقد استعادوا جأشهم فى سرعة و تراجعوا مبتعدين عن رجلى المخابرات و هم يصوبون نحوهما فوهات مدافعهم الآلية
كانوا أربعة من المحترفين فى مواجهة رجلين أحدهما فقط يحمل سلاحاً
و كان من الواضح أن الأمر سيتحول بالفعل إلى مذبحة دموية
لولا ما حدث فى اللحظة التالية
فمن وسط الدخان و النيران برزت تلك الهليوكوبتر بغتة
هليوكوبتر (وينسلوت) التى يقودها (أدهم) و النيران تشتعل فى ذيلها و هو يحاول توجيهها بمهارة لا مثيل لها
و من أسفل الهليوكوبتر أضاء مصباح قوى
مصباح أحال ظلمة الأحراش نهاراً
و على ضوء ذلك المصباح و من هذه المسافة الكبيرة رأى (أدهم) ما يحدث
و فهم الموقف على الفور
حاسة رجل المخابرات داخلة جعلته يميز رفيقيه و رجال الكوماندوز الأربعة
و بلا تردد انقض بالهليوكوبتر و أطلق رصاصات مدفعها حول الأربعة
و أدرك رجال الكوماندوز أنهم قد خسروا معركتهم
أدركوا هذا بغريزة الوحوش فى أعماقهم
لذا فقد رفعوا أيديهم مستسلمين و صرخ قائدهم :
- لا تطلق النار .
كانت النيران تمتد عبر ذيل الهليوكوبتر و لكن (أدهم) قادها فى مهارة حتى صارت على ارتفاع ثلاثة أمتار عند قمم الأشجار القصيرة
و فى الوقت الذى اندفع فيه زميليه ، لتجريد رجال الكوماندوز من أسلحتهم و السيطرة على الموقف ثبت هو عصا القيادة لتنطلق الهليوكوبتر بعيداً و هو يحمل جسد (وينسلوت) الفاقد الوعى على كتفيه و..
ويثب ..
وثب من ارتفاع ثلاثة أمتار أمام العيون الذاهلة ليهبط بحمله وسط الأحراش فى حين ابتعدت الهليوكوبتر بضعة أمتار و النيران تلتهم ذيلها كله
ثم هوت
و دوى انفجار جديد
انفجرت الهليوكوبتر فى قلب الأحراش لتعلن نهاية مرحلة و بداية صراع جديد
و فى سعادة و ارتياح اندفع أحد رجلى المخابرات يصافح (أدهم) فى حرارة هاتفاً :

- مستحيل! حمداً لله على سلامتك يا بطل ، من كان يتصور أن تفعل كل هذا .
أجابه (أدهم) فى حزم و هو يضع جسد (وينسلوت) أرضاً :
- المعركة لم تنته بعد .
سأله الآخر و هو يصوب مدفعه إلى رجال الكوماندوز :
- و لكنك نسفت كل شيء يا رجل ، لقد فعلت ما تعجز عنه فرقة كاملة .
التقط (أدهم) نفساً عميقاً و هو يقول :
- صحيح أن هذا هو المقر الرئيسى لمنظمة (هيل آرت) و لكنه ليس المقر الوحيد .
سأله أحدهما و هو يتطلع إلى (وينسلوت) الذى بدأ يستعيد وعيه :
- و من هذا؟! أليس سير (وينسلوت) زعيم المنظمة .
قال (أدهم) فى هدوء لا يتناسب قط مع الموقف :
- و هل سيتركونه لنا بهذه السهولة؟!
"هذا مستحيل بالطبع"
نطقها (وينسلوت) و هو يحاول النهوض فتطلع إليه الجميع و هو يقف على قدميه متابعاً :
- القواعد واضحة فى هذا المضمار ، تدمير المقر (صفر) سيبلغ قادة المنظمة فور حدوثه و لأنهم يعلمون أنه لدى وسيلة للنجاة فسينتظرون إشارة خاصة منى خلال دقائق عشر من التدمير الشامل و ما لم يحصلوا عليها فسيفترضون أننى أسير فى قبضة جهة معادية .
تسائل أحد رجلى المخابرات :
- و ماذا سيفعلون عندئذ؟!
شد (وينسلوت) قامته فى اعتداد و هو يجيب :
- سيطاردونكم بكل ما لديهم من قوة و قوات و سيحاصرون المنطقة كلها حتى لا تنجح بعوضة فى الخروج منها و لن يهدأ لهم بال حتى يسحقونكم سحقا .
قال رجل المخابرات الآخر فى صرامة :
- كل هذا لينقذوا حياتك .
هز (وينسلوت) رأسه نفياً و هو يقول :
- حياتى لا تعنى لهم شيئاً .
و تلاعبت على شفتيه ابتسامة عصبية و هو يضيف :
- إنها استثمارات هائلة ، مليارات من الجنيهات الإسترلينية ، ثم أنه هناك ما هو أكثر خطورة .
تطلع إليه الكل فى توتر فتابع فى عصبية لم يستطع كتمانها هذه المرة :
- إننى لست الزعيم الفعلى لمنظمة (هيل آرت) .
و مع انعقاد حاجبى (أدهم) تناهى إلى مسامع الجميع أزيز سرب من طائرات الهليوكوبتر يقترب من المنطقة
و بدا المشهد رهيباً بحق
الحمم تتدفق فى البركان ..
و جيش من قوات (هيل آرت) يحاصر المنطقة

و سير (وينسلوت) يضحك على نحو عصبى و كأنما يدرك ما يجهلونه ، و فى حزم عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره و هو يقول :
- ألم أقل لكما ، يبدو أنها البداية ، بداية المعركة الحقيقية .
و ران على الكل صمت رهيب
رهيب إلى أقصى حد

* * *

"رباه! تصورت أن القصة قد انتهت عندما سيطر (أدهم) و زميلينا على الموقف"
ابتسم (قدرى) و هو يقول :
- الواقع أن كل ما رويناه كان مجرد بداية .
سألته فى لهفة :
- ماذا حدث بعد إذ .
أجاب فى سرعة :
- الكثير .
ثم أغلق الملف مستطرداً :
- و لكن الساعة تقترب من منتصف الليل ، و لن يمكننا مطالعة النصف الثانى من الملف الليلة .
قالت فى عصبية :
- و لم لا؟!
ضحك قائلاً :
- لأننى جائع للغاية و أرغب فى تناول عشاء دسم .
زفرت فى توتر قائلة :
- فليكن سأدعوك إلى عشاء دسم .
ثم استدركت فى سرعة :
- و لكن بشرط .
سألها فى حذر :
- و ما هو؟!
قالت فى لهفة :
- أخبرنى على الأقل ما الذى سيقودنا إليه الجزء الثانى من الملف .
تردد لحظة ثم قال :
- الجزء الثانى هو السبب الذى حصل (أدهم) من أجله على لقبه .
و حمل صوته رنة فخر و هو يضيف :
- لقب (رجل المستحيل) .
سألته فى لهفة أكثر :
- لقد شن حرباً على رجال (هيل آرت) أليس كذلك؟!
التقط نفساً عميقاً و هو يقول :

- بل فعل ما هو أكثر خطورة من هذا .
توقفت هاتفة :
- (قدرى) ما تفعله بى ليس عدلاً .
أعاد الملف إلى مكتبه و أغلقه بالمفتاح فى إحكام و هو يقول :
- و ماذا عما تفعلينه أنت بى؟! قلت لك : إننى جائع للغاية .
و زفرت (منى) مرة أخرى فى استسلام و عقلها يطرح ألف سؤال و سؤال ، و الفضول يلتهمها ، لمعرفة ما الذى فعله (أدهم) فى مواجهة جيش (هيل آرت)؟!
و لكن أسئلتها ظلت بلا جواب
حتى موعد الجزء التالى من الملف
الجزء الأكثر إثارة
بكثير

* * *

(تمت بحمد الله)
القصة القادمة
(نيران الأحراش)